الموجز في علم النفس

لطلبة السنة الرابعة الثانوية

تأليف

محمد حسنين عبد الرازق
المدرس بمدرسة المعلمين العليا

عباس حسين
المدرس بمدرسة الناصرية

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

أو من فرعها المكتبة المصرية الكبرى بشارع الفجالة بالقاهرة

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

الموجز في علم النفس

لطلبة السنة الرابعة الثانوية

تأليف

محمد حسنين عبد الرازق
المدرس بمدرسة المعلمين العليا

عباس حسن
المدرس بمدرسة الناصرية

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

أو من فرعها المكتبة المصرية الكبرى بشارع الفجالة بالقاهرة

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة



لله الحمد على ما أنعم، ولرسله أطيب الصلوات

«وبعـد» فهذا كتابنا «الموجز فى علم النفس» للمدارس الثانوية، راعينا فى تأليفه مطابقة المنهج، ووضوح الغرض، ووفاء المراد، ومعونة الطلبة على الدرس والتحصيل.

والله نسأل أن يحقق الغاية ويقرب المأمول... ؟

المؤلفان

منهج مبادئ علم النفس

السنة الرابعة ــ القسم الأدبي

درس واحد فى الأسبوع

موضوعات المنهج الحالى
أولا ــ موضوع علم النفس ثانيا ــ تحليل الحياة النفسية : المعرفة ، والوجدان والنزوع ثالثا ــ الغـــرائز الغرائز هى القوة الدافعة فى حياة الإنسان دراسة « بسيطة » لبعض الغرائز الهامة : الهرب المقاتلة التيسلط الخضوع الاجتماع الاستطلاع الاقتناء رابعا ــ الانفعال : علاقة الانفعال بالحالة الجسمية أثره فى حياة الإنسان

بقية المنهج الحالى

خامسا ــ العواطف : تكوينها

اتجاه العاطفة إلى شخص أو جماعة أو معني آخر مجرد كالعلم و .....

أهمية العواطف فى تكوين الشخصية

سادسا ــ العادة و آثارها

سابعا ــ الإدراك الحسى : الإحساسات المختلفة، تأويل العقل للإحساسات

ثامنا ــ الترابط

كيفية حدوثه

أهميته للاسترجاع

تاسعا ـ التخيل المبتدع ، ما يضر منه وما ينفع ، وظيفته فى الاختراع

عاشرا ــ الذاكرة

عناصرها الثلاث

مميزات الذاكرة الجيدة

طرق الحفظ

حادى عشر ــ بعض الفوارق المميزة للأفراد من حيث التفكير والوجدان والنزوع

العقل النظرى والعقل العملى

الوجدان السريع التهيج والوجدان الخامل

الإرادة المندفعة والإرادة المترددة

الفهرس

تابع الفهرس



الباب الأول

موضوع علم النفس

يجدر بنا قبل الكلام على هذا الباب أن نوضح المقصود من كلمة « موضوع » . وأن نثبت هنا ما استقر عليه رأى العلماء الآن فى « النفس » والمراد منها .

المقصود من موضوع العلم

إننا درسنا علم الحساب وعرفنا أبوابه وفصوله التى يتعرض للبحث فيها . فإذا استعرضنا تلك الأبواب والفصول وجدناها تشمل المسائل الآتية :

القواعد الأربعة ، الكسور ، حساب المائة و . . . . وغيرها مما يعرض له علم الحساب خاصة .

وكذلك علم « الجغرافيا » له أبواب وفصول يختص بالكلام فيها . كدورة الأرض وأداتها ، وتحرك الرياح واتجاهها ، والمناخ وأثره ، ومواقع البلدان وشهرتها ، وأشباه ذلك من المسائل التى هى من خصائصه .

وكذلك التاريخ ، يبحث عن سيرة العظماء ، وما أصاب بعض الأمم بأيديهم ، ويسرد الوقائع ، ويبين ما كان لها من آثار .

فالمسائل التى يتصدى للبحث فيها علم الحساب أو الجغرافيا أو التاريخ أو غيرها تسمى: موضوع العلم.

فموضوع العلم هو :

« الأبواب والفصول التى يشتمل عليها، ويتكفل بتبيينها وتوضيح مسائلها »

***

المراد من كلمة النفس (الروح)

لقد دأب الباحثون منذ أقدم الأزمان إلى اليوم على البحث لإدراك النفس ومعرفة حقيقتها، ولكنهم بعد أن جدوا فى البحث، وأوغلوا فى الطلب شعروا أن الغاية بعيدة منهم

وسجلوا الحقيقتين الآتيتين :

« الأولى » أن فى الكون أموراً كثيرة لا تدرك حقائقها . ولا تعرف إلا بمظاهرها وآثارها التى ننتفع بها . فالكهرباء والأثير والمغناطيس كلها أمور مجهولة الحقيقة ، على الرغم مما لها من آثار جليلة تملأ الكون ، وما دام الأمر كذلك فليس يضيرنا أن نجعل الروح (النفس) فى عِداد تلك الأشياء المجهولة لنا ، وأن يكون جوابنا إذا سألنا سائل عن حقيقة الروح «النفس» : « الروح من أمر ربى . »

« الثانية » أننا عرفنا الكهرباء والأثير والمغناطيس بآثارها الواضحة لنا ، وكذلك النفس عرفناها بآثارها ومظاهرها (١) ، فإننا :

---

(١) سيأتى الكلام بالتفصيل على هذه المظاهر فى الباب الثانى

« ا » ندرك حقائق الكون

«ب» ونسر من تلك الحقائق المُدْرَكة أو نتألم

« حـ » وننزع إلى استمرار ذلك الإدراك إن كان سارا، والفرار منه إن كان مؤلما .

كل ذلك يحصل من مصدر لا نعرف حقيقته، ولا نهتدى له . فلا بد أن يكون فينا قوة خفية تصدر عنها تلك الأمور التي نسميها : مظاهر .

فإذا قلنا فى تعريف الكهرباء : « إنها شيء غير محسوس ، ينشأ منه ضوء وحرارة، ويساعد على الحركة و .....» ففى استطاعتنا أن نقول فى تعريف النفس (الروح) إنها :

«شيء خفى نستطيع به » :

(١) إدراك حقائق الكون. (أى مظهر المعرفة [١])

(٢) السرور أو الألم بما ندركه من تلك الحقائق . (أى مظهر الوجدان)

(٣) النزوع إلى مواصلة الإدراك أو هجره . (أى مظهر النزوع ، أو الإرادة)

تلك هى مظاهر النفس، وليست هى النفس بل هى من آثارها ، فكما أن الضوء والحرارة والحركة فى الكهرباء ليست هى الكهرباء ، كذلك المظاهر السابقة ليست هى النفس ولكنها أثر من آثارها ، ودلائل على وجودها .

***

---

(١) يسميه البعض « بالتفكير »

موضوع علم النفس

أما موضوع هذا العلم فيتضح مما يأتى :

إذا رأيت حيوان «الكنجرو» أو «الغورلة» ولم تكن رأيته قبل ذلك فإنك تحس عند هذه الرؤية فى داخل نفسك أمورا مختلفة ، منها: —

(١) المعرفة :

إذ تتعلم أشياء جديدة عن هذا الحيوان ، فتراه يشبه الإنسان فى كثير من صفاته الظاهرة، فله يدان ورجلان يشبهان يدى وَرِجْلَى الإنسان ، ويمشى قائما على رجليه ، وأصابعه كأصابع الإنسان فى شكلها وعددها، ويطهو بعض أنواع المأكل، وينشر المَظَلَّة ويتقى حر الشمس بها إذا سار، و....

(٢) الوجدان :

فإن المعرفة قد تكون سارة أو مؤلمة، فتشعر أن عاملا قد نشأ بعدها جعلك تنشرح منها إن كانت سارة، وتنقبض إن كانت مؤلمة . وهذا العامل هو ما يسمى : بالوجدان .

(٣) النزوع (الإرادة) :

وذلك أنك تحس شيئا آخر يدعوك إلى الاستزادة من السار والهرب من المؤلم ، وهو ما يسمى : بالنزوع (أو الإرادة) .

فمعرفتك الأشياء الجديدة وما يرتبط بها من ذكر وتخيل و...

ووجدانك وما تشعر به من السرور أو الألم أو نحوهما كالغضب والخوف و ....

ونزوعك إلى الاستزادة من السار والفرار من المؤلم وما يتصل بهما من سائر الرغبات والميول، كل أولئك أمور نفسية هى موضوع علمنا هذا .

وإذاً يكون موضوع علم النفس هو :

القواعد التى تتصدى لشرح الخواطر النفسية (١) ، وتذكر أسبابها ونتائجها . وما ينميها أو يضعفها ، وآثارها فى الحياة .

وإن شئت فقل : إن موضوع علم النفس هو :

المسائل التى تبحث فى مظاهر النفس (المعرفة — الوجدان — النزوع أو الإرادة) وبيان آثارها ووسائل الانتفاع بها

* * *

الملخـــص

موضوع أى علم هو :

(١) المسائل التى يتصدى ذلك العلم لبحثها وتوضيح غوامضها

(٢) موضوع علم النفس هو :

القواعـــد التى تشرح الخواطر النفسية وتبين آثارها ، وطرق الاستفادة منها .

(٣) النفس (الروح) هى :

قوة خفية من آثارها المعرفة (التفكير) والوجدان . والنزوع (الإرادة)

---

(١) من جهة أن تلك الخواطر تفيد المرء معرفة ، وسروراً أو ألماً ، ثم تدفعه إلى الاستمرار أو الامتناع

الباب الثاني

حَلُّ[1] الحياة النفسية

يقصد بهذا الحَلّ :

« وصف الخواطر التى تجول فى نفس المرء وصفا يوضح كل خاطر على حدة ، ويشرحه شرحا تاما يميزه عن غيره بقدر المستطاع »

وإليك أمثلة توضح ذلك الحل :

(١) إذا ركبت الطيارة أول مرة ، وتركتها تشق بك عنان السماء ، فإن نفسك فى هذه الحالة تمتلىء بالخواطر الكثيرة المختلفة وتشتغل بها ، وهذه الخواطر — وإن تعددت أنواعها واختلفت درجتها فى الوضوع والقوة — يمكن إرجاعها كلها إلى ثلاثة أنواع ، تسمى : « مظاهر النفس » — وهى التى سبقت الإشارة إليها :

« ا » فمشاهدتك الأشياء التى لم تشاهدها من قبل ، كرؤية المدن والقرى والجبال والوديان بحالتها الجديدة من الطيارة ، وإحساس الفرق بين حالة الهواء على سطح الأرض وفى تلك الطبقات العالية من حيث : كثافته ودرجة حرارته أو برودته ، وأشباهها من الأمور الجديدة التى تتجه إليها طائفة من خواطرك لتتفهمها ثم تدرك مافيها من الحقائق التى لم تدركها من قبل ، كل ذلك يسمى : « مظهر المعرفة[2] »

---

(١) أى : « تحليل »   (٢) وقد يسمى بالتفكير كما سبق

« ب » ثم إن ما وَصلَت إليه النفس من الحقائق والمدْرَكات الجديدة قد يكون سارًّا لها وقد يكون مؤلما ، وهى قد أعطيت قوة تميز بها السار من غيره . وإن شئت فقل : إن من وظائفها أن تدرك كل حالة من الحالتين السابقتين

فقوتها تلك ، (أو إدراكها السرور أو الألم) مظهر آخر من مظاهرها يسمى : « الوجدان »

« ح » ثم إن السرور قد يدعوها إلى الاستزادة والعمل على التمتع به . كما أن الألم يدعوها إلى الفرار منه ، فهذه الحركة النفسية الداخلية هى المظهر الثالث الذى يسمى : « النزوع » (أو الإرادة)

مثال آخر

إذا ركبت إحدى البواخر التى تعبر المحيط الأطلسى فإن الخواطر تتدفق إلى نفسك فتشتغل بها ، ومهما يكن من كثرة تلك الخواطر واختلافها فإنها لا تخرج عن المظاهر السابقة :

« ا » فرؤيتك البحر أزرق اللون ، هائج الموج ، شديد الريح بعيد النواحى ، وإحساسك اضطراب السفينة واصطدامها بموج كالجبال ، وشقها عباب الماء ، كل هذه خواطر تشتغل بها النفس لتصل بها إلى حقائق جديدة

فهذا الاشتغال ثم الوصول إلى تلك الحقائق مظهر نفسى يسمى : « المعرفة »

« ب » وعلمك الأمور السابقة قد يكون سببا فى جذلك وانشراحك ، أو ألمك وحزنك ، فإدراكك السرور أو الألم مظهر نفسى يسمى : « الوجدان » .

« حـ » وفى حالة السرور والانشراح ، تحس شيئا يدعوك إلى التمتع بتلك الحالة والتزود منها ، كما تحس ذلك الشيء فى حالة الألم يدعوك إلى البعد والنفور ، ذلك الشيء هو المظهر الثالث من مظاهر النفس ، ويسمى : « النزوع أو الارادة »

مما تقدم نعلم أن للنفس ثلاثة مظاهر :

(١) المعرفة — وهى مجرد تفهم الحقائق الجديدة وإدراكها .

(٢) الوجدان — وهو شعور النفس بسرور أو ألم .

(٣) النزوع (الإرادة) — اتجاه النفس إلى التمتع بما فيه سرور ، أو الفرار مما فيه ألم .

تماسك هـذه المظاهر

ولا تحسبن هذه المظاهر منفصلا بعضها عن بعض ، أو لواحد منها وجود مستقل عن غيره بحيث يستطيع أن يوجد منفردا ، فإن هذا لا يتفق مع الحقيقة ، إذ أن تلك المظاهر مرتبطة ارتباطا وثيقا يستحيل معه أن ترى واحدا منها بغير قسيميه ، فلست ترى المعرفة بغير الوجدان والنزوع ، ولست ترى الوجدان بغير شريكيه ، وكذلك النزوع ، فلا بد من اشتراك الثلاثة فى كل عملية نفسية ما دام المرء فى حالته الطبيعية [1]

وليس الأمر مقصورا على مجرد الارتباط بينها ، بل إن نمو أى مظهر وقوته يزيد فى نمو قسيميه وقوتهما ، فنمو المعرفة وقوتها

---

(١) أما فى حالة بعض الأمراض المخية أو فى حالة تناول البنج مثلا فقد يظهر بعض المظاهر فقط ويعطل الباقى

يساعد على نمو الوجدان والنزوع (الإرادة) وقوتهما . وكذلك نمو الوجدان وقوته . وكذلك النزوع

وإن وضوح أحدها يساعد على وضوح الآخر . والأمثلة كثيرة فأنت قد ترى على النافذة حجرا من الماس فتظنه قطعة من الزجاج لا ترتاح لوجودها على النافذة ، وتنزع إلى رميها فى سلة المهملات اتقاء لضررها ، وربما رميتها ، ولم ينشأ هذا إلا من خفاء المعرفة ، وعدم وضوحها وضوحا تاما فكان لخفائها أثر فى الوجدان وفى النزوع وما يتبعه ، ولو كانت المعرفة واضحة قوية فى هذا المثال لأحدثت سرورا فى النفس بقطعة الماس ، ثم نزوعا إلى الاحتفاظ بها ، وكانت النتيجة غير السابقة .

اختلاف درجة المظاهر

قد ثبت بالاختبار أن الناس ليست سواسية فى درجة هذه المظاهر فمنهم من تقوى فيهم المعرفة أكثر من غيرها ، كالرياضيين والمنطقيين والمشتغلين بالطبيعة والكيمياء

ومنهم من يغلب عليهم الوجدان ، كالأطفال ، وناقصى الخبرة والتعليم ، والنساء ، والمرضى ببعض الأمراض كالعصبية .

ومنهم من يتغلب فيهم النزوع (الإرادة) كرجال الحرب والتاريخ والمشتغلين بالقانون .

العوامل التى تنمى هذه المظاهر

لكل مظهر من المظاهر السابقة عوامل تُنَمِّيه وتساعد على قوته

ووضوحه أكثر من زميليه (١) إن لم يقف فى طريقها عائق .

فعلوم الرياضة، والمنطق، وعلم النجوم، وعلم الأشياء (مبادئ العلوم) تنمى المظاهر الثلاثة، ولكنها أعظم أثراً فى تنمية المعرفة « التفكير »

والموسيقى والشعر والغناء وأدب اللغة والرسم وسائر ما يسمى الآن : « بالفنون الجميلة » تنمى المظاهر كلها، ولكنها أبلغ تأثيرا فى الوجدان

والشرائع الآلهية والقوانين الوضعية والتاريخ تنمى المظاهر كلها ولكنها أكثر تنمية للنزوع (الإرادة) .

ولهذا كان من الواجب على المرء أن يأخذ من كل هذه العلوم — أو أشباهها — نصيبا موفورا

***

الملخص

(١) حلّ (تحليل) الحياة النفسية ، معناه :

وصف الخواطر التى تجول فى النفس للوصول إلى أن بعضها « معرفة » والبعض الآخر « وجدان » ، والبعض الثالث « نزوع » أى : إرادة .

وتسمى هذه الثلاثة : « مظاهر النفس »

(٢) لكل مظهر من المظاهر السابقة صفات خاصة به .

(٣) تلك المظاهر متماسكة لا يوجد واحد منها بغير قسيميه .

(٤) لكل مظهر عوامل تنميه أكثر من شريكيه .

***

(١) فلا توجد عوامل تنمى مظهرا واحدا دون أن تنمى الآخرين غير أنها تكون أقوى فى واحد .

الباب الثالث

الغــرائز

أعمال الإنسان

لكى نفهم الغريزة على وجهها الصحيح ، يجب علينا أن نستعرض أعمال الإنسان جميعها ، ونوازن بينها ، وسنراعى الاختصار فى كل ذلك .

أعمال الإنسان أربعة أنواع :

(١) نوع يصدر منه بعد شعوره « تفكيره » واختياره، وهو : « الأعمال الإرادية »

كالاصطياف فى الإسكندرية مثلا ، فإن هذا الاصطياف قد سبقه « التفكير » فى الجهة التى يقضى فيها المرء الصيف ، أهى الإسكندرية أو غيرها . إلى أن انتهى بالإسكندرية ، فتم الأمر باختياره لها بعد ذلك .

ومساعدة الضعيف والتبرع للملاجئ وزيارة الأقارب كل هذه — وما شابهها — أعمال إرادية يسبقها « التفكير » ثم تقع برغبة المرء واختياره .

(٢) نوع يحتاج إلى الشعور « التفكير[١] » عند بدء مزاولته وتعلمه ثم بعد تكراره وحدوثه جملة مرات لايحتاج إلى تفكير بل يحتاج إلى الإرادة قبل ابتداء الشروع فيه فقط ، ولا يتطلب تفكيرا ولا إرادة لإتمامه ، وهذا النوع هو : « الأعمال العادية » .

---

(١) قد يحتاج إلى إرادة أيضا كالعادات التى يكونها الكبير ، وقد لايحتاج إلى إرادة كمشى الوليد ، فهو يقوم به من غير تفكير أو إرادة .

كالمشى والكلام ، فإن كل واحد منهما يحتاج فى بدء تعلمه إلى الشعور « التفكير » ثم إذا تكرر المشى أو الكلام وحصل جملة مرات لم يكن محتاجا إلى تفكير ، وإنما يحتاج إلى إرادة تدفع المرء إلى القيام به ، وإذا شرع فيه لم يكن محتاجا بعد ذلك لشىء منهما لإتمامه وتكميله .

(٣) نوع يصدر من غير إرادة ولا اختيار ، ومن أمثلته قيام الأعضاء المختلفة بوظائفها الخاصة ، كقيام الرئتين بالتنفس والقلب بدفع الدم ، وأعضاء الهضم بهضم الطعام ، ويسمى : « الأعمال المنعكسة »

(٤) نوع يحدث من غير إرادة ولا تفكير أيضا ولكن يقوم به الجسم كله أو عدد كثير من الأعضاء من غير تعليم سابق ولا تجربة ماضية ، تقوم به إجابة لمؤثر خارجى مع وجود دافع نفسى طبيعى ، وهذا النوع هو : « أعمال الغريزة [1] »

كفرار الفأر إذا رأى القط ، ورغبة الطفل فى الاستيلاء على اللعبة الجميلة التى يشاهدها فى يد غيره ، وامتصاص اللبن من الثدى إذا لمس شفته وكان جائعا .

موازنة بين تلك الأفعال

يتضح مما تقدم أن الأعمال الإرادية لابد فيها من الإرادة والتفكير . أما العادية فلا يكون فيها تفكير إلا عند بدء تعلمها ثم يمحى شيئا فشيئا إلى أن يزول ولا نحتاج إلا إلى الإرادة التى تدعو للعمل قبيل الشروع فيه فقط .

---

(١) المتفق عليه بين علماء النفس هو : أن الغرائز فى أيام الطفولة تكون خالية من كل أثر للتفكير ولكنها بعد ذلك يلازمها شىء من التفكير .

وأما الأعمال المنعكسة فلا إرادة فيها ولا تفكير ، فهى تخالف النوعين السابقين . وتتفق مع أعمال الغريزة فى ذلك .

غير أنهما يختلفان فى :

(١) أن أعمال الغريزة يقوم بها الجسم كله أو أكثر أعضائه ، أما الأعمال المنعكسة فلا يقوم بها إلا عضو واحد غالبا .

(٢) أن الغريزة تقوم بوظيفتها خضوعا لعامل خارجى ، وآخر نفسى ، أما الأعمال المنعكسة فلا تقع غالبا إلا خضوعا للعامل الداخلى .

(٣) أن أعمال الغريزة تحدث لحماية الجسم كله أو أكثره ، أما المنعكسة فتحدث لحماية عضو واحد إلا أن كانت أعمالا داخلية كعمل القلب والرئتين .

فائدة الغـــرائز

نستطيع أن ندرك قيمة الغرائز وجليل أثرها إذا عرفنا أن منها غريزة المحافظة على الحياة ، وهى التى تدفع الإنسان إلى الكد ومواصلة السعى حرصا على بقائه ، وتحول بينه وبين ارتكاب الجرائم الكبيرة كالقتل حرصا على حياته أيضا ، وهى التى تدفعه إلى تناول الطعام وتبغض إليه الانتحار .

ومنهـــا حب التملك ، وهى التى تدعوه إلى العمل وجمع الثروة ليتمتع بما فيها من نعيم .

ومنها غريزة الاستطلاع وهى التى تدفعـه إلى كسب المعلومات الكثيرة وإدراك الحقائق المجهولة ، ولهذا تعتبر أساسا لتنمية مظهر

المعرفة، كما أن غريزة السرور بالأشياء الجميلة تعتبر أساسا لتنمية مظهر الوجـدان . وكذلك غريزة حب الحركة والعمل هى أساس النزوع (الإرادة).

ومنها المحاكاة وهى التى تقوده إلى تعلم المهن وحذق الأعمال ، وتسير به فى طريق التقدم إن كان من يحاكيه كذلك .

وكثير من الغرائز الأخرى (كالمباراة والمحافظة على النسل والحل والتركيب والادخار والاجتماع والتسلط و . . . . و . . . .) تفيد المرء فى حياته أيما فائدة ، وتقوده إلى كثير من الغايات التي لا بد منها لسلامته وبقائه ، أو نعيمه ورفاهيته ، وهذا هو المقصود من قول علماء النفس :

« إن الغرائز هى القوة الدافعة فى حياة الإنسان »

فلولا غريزة المحافظة على الحياة لأهمل العمل لجلب الرزق وتحصيل القوت وحراسة النفس

ولولا غريزة المحاكاة ما استطاع الطفل أن يتعلم صنعة أو يجيد عملا فى أزمان وجيزة

ولولا غريزة المحافظة على النسل ما وجدت على وجه الأرض حيا

ما يجب نحو الغرائز

لهذا كان من الواجب أن نتناول الغرائز النافعة بالتنمية والتهذيب والمراقبة، لتوجيهها إلى الخير جهد المستطاع ، لكيلا تقود صاحبها إلى ما لا يرغب فيه أو تجمح به إلى هوة سحيقة ، فقد تدفعه غريزة حب التملك إلى السرقة والاستيلاء على أموال غيره ، وقد تنطلق به المحاكاة إلى تقليد ما يعود عليه بالضرر وخاصة إذا عرفنا أن للغرائز صفات هامة يتصل منها بموضوعنا هذا أنها :

باقية لا تزول (١) مادام الحيوان حيا، ولكنها تتغير قوة وضعفا، فتبلغ فى قوتها حد الطغيان، وتصل فى ضعفها إلى درجة الخمود بحيث لا تكاد تحس لها أثرا، وتتوهم أنها ماتت.

من أجل ذلك كله كان من الممكن توجيهها إلى غرض معين تعمل له على الدوام وذلك بالدُّربة والمَرانة.

والمربى الحازم يستطيع أن يضعف جانب الشر فيها ويقوى جانب الخير إذا اتبع ما أشار به العلماء فى هذا الصدد، وأحسن التصرف فيه.

خذ مثلا:

الطفل الذى يرى جملة وردات أمامه ولم يكن عَرَف الكثير من أمرها أو فائدتها، فإنه يقذفها هنا وهنالك، وقد يمزق أوراقها، أو يظنها طعاما يؤكل، ولكنك إذا وجهت نظره إلى أصيص به مثل هذه الطاقة وأظهرت له مقدار عناية الناس به، وتمتعهم بمنظره، واتخذت وسيلة من الوسائل ليدرك بها رائحة الورد الجميلة، ويعرف أنه وسيلة من الوسائل التى يُتَّخذ منها بعض الروائح العطرية فإنه يسر ويسرع إلى جمع ما تفرق، ويحاول وضعه على نظام كالذى رآه فى الأصيص، وقلما يعود إلى نثرها مرة أخرى.

فنثره الطاقة أولا كان إجابة لداعى ما فيه من: غريزة الحل والتخريب، وترتيبها ثانيا كان إجابة لداعى غريزة أخرى هى: التركيب

(١) ولكنها تخمد وتضعف حتى يخيل لنا أنها زالت مع أنها كامنة فى الواقع، وهذا هو أشهر الآراء

ومثل هذا، رؤيته الملعقة فكثيرا، ما يتخذها إحدى لعبه، وربما قذف بها إلى مكان بعيد، ولكنه إذا رأى مَنْ حوله يأكلون بها حاكاهم فيما يصنعون وقلما يعود لعمله. وقد يرى نفسه هو الوحيد الذى لا يجد ملعقة فلا يفعل ما فعله أولا، ويندفع إلى الاحتفاظ بملعقته بداعى غريزة التملك.

مِنْ ثَمّ كنا فى حياتنا محتاجين لدراسة الغرائز وتفهم أسرارها، وإدراك عوامل قوتها وضعفها، ومعرفة الطرق التى تجعلها مقتصرة على جانب الخير، متجهة إلى نواحى الإصلاح

لهذا نبدأ الآن فى دراسة طائفة من تلك الغرائز (١)

* * *

الملخص

(١) أعمال الإنسان أربعة أنواع — إرادية — عادية — منعكسة أعمال غريزة. وكلها لا يصحبها التفكير، إلا النوع الأول.

(٢) الغرائز ذات آثار جليلة يمكن تلخيصها فى جملة واحدة هى: «أنها القوة الدافعة فى حياة الإنسان خاصة والحيوان عامة»

(٣) يجب دراسة الغرائز وتفهم أسرارها لنستطيع تنمية الجانب الصالح منها والانتفاع به.

---

(١) يرى كثير من العلماء أن طائفة عظيمة من الغرائز ترجع إلى الوراثة وانحدرت إلى الانسان من ذلك الطريق، فالخوف والهرب منشؤهما خوف الانسان — أيام كان يسكن القفار — من الوحوش.

غريزة المقاتلة

تظهر هذه الغريزة فى المرء إذا عارضته فى رأى محبوب له ، أو آلمته بالقول أو الفعل .

وآثارها فى الطفل البكاء ، وضرب الأرض بالقدم ، وإتلاف بعض الأشياء . وعلى قدر تهذيب الإنسان ونصيبه من الرقى تكون قدرته على حكم نفسه عند حدوث ما يثير غضبه أو يؤلمه

ولقد كانت هذه الغريزة عاملا من عوامل الدفاع عن النفس قبل وضع القوانين وتحديد الحقوق الخاصة والعامة ، أما بعد وضع القوانين وقيام الحكومات بحماية الضعيف والمحافظة على المال والأنفس فقد أصبحت المقاتلة بين الأفراد ممنوعة ـ على الرغم من وقوعها بين الدول التى تتنازع السلطان ـ كما أنها لاتزال باقية بين الأطفال وأفرادِ الأمم التى لم تتناولها يد المدنية بالتهذيب والإصلاح .

مزايا هذه الغريزة

هذه الغريزة عامل مهم من عوامل التربية الجسمية ، فإنها تستخدم فى كرة القدم والملاكمة والمصارعة والجرى والقفز وأمثال هذه المسابقات الرياضية الجسمية .

على أنه يمكن استخدامها أيضا فى تنمية القوى العقلية ، وذلك بإنشاء الجماعات العلمية لإلقاء محاضرات فى موضوعات مختلفة ومعارضتها . فإن لهذه المحاورات العلمية أثرا عظيم فى نفع التلاميذ .

وهناك مزايا أخرى لغريزة المحاربة تصدر من محبى الإصلاح فى كل جيل وكل أمة ، وذلك : بعرضهم الآراء الجديدة ونشرها بين الأفراد واستعدادهم للدفاع عنها وحمايتها من المهاجمين . وفى ذلك إذاعة للآراء ونشر للحقائق بين الناس ووضوح للحق فتنهض الأمم والأفراد .

* * *

الملخص

(١) تتحرك غريزة المقاتلة وتظهر بمعارضة الطفل فيما يحبه ، أو إيلامه بأى نوع من أنواع الألم .

(٢) كانت من عوامل الدفاع عن النفس سابقا ، أما الآن فلم تبق لها أهميتها إلا عند الأطفال . وأفراد الأمم المتأخرة وبين الدول التى تتنازع السيطرة .

(٣) تستخدم هذه الغريزة فى تربية الجسم وفى تنمية القوى العقلية

(٤) لها أثر كبير فى نشر الآراء الجديدة ، والمذاهب العملية والدفاع عنها .

* * *

غريزة التسلط أو السيطرة

نشاهد بعض الأطفال يسعى لأن يكون رئيسا على نظرائه فيتخذ لذلك سبيلا معينا ، كأن يظهر قوته الجسمية فى أداء عمل من الأعمال .

ونشاهد فى فصول المدارس نفرا من التلاميذ يصغون إلى أستاذهم ، ويتوجهون إليه بالأسئلة ، ويسرعون إلى الإجابة عما يريد ، وإعداد مايطلب ، رغبة منهم فى إظهار مزايا خاصة يقصدون من ورائها أن يظهروا جدارتهم بقيادة الفصل ، والسيطرة على من فيه

كل ذلك يحصل بدافع من غريزة « التسلط أو السيطرة » ، فهى :

« قوة تدفع الحيوان (١) إلى القيام بأعمال يراها موصلة لإخضاع غيره ، والتحكم فيه » .

أهميتها

لهذه الغريزة أهمية كبيرة فى حياة الحيوان عامة والإنسان خاصة فهى التى تنزع به إلى الحرية ، وتبغض إليه الذل ، وتدعوه إلى هجر الصغائر . ليكون له من هذه الأشياء كلها معين يسيطر به على الآخرين فإن حرمانه هذه الصفات كلها أو بعضها يعتبر نقصا ، والنقص نوع من أنواع الضعف يتنافى مع ماتطلبه هذه الغريزة من القوة والسيطرة

وهى التى تدعوه إلى الافتتان والابتكار ، وإتقان ما يعمله ليكون قويا يستطيع إخضاع غيره

---

(١) هذه الغريزة موجودة فى جميع أنواع الحيوان

ما يجب لها

وواجبنا أن نعمد إلى الجانب الصالح من هذه الغريزة ، فنتعهده بالمراقبة والتهذيب حتى يتجه إلى الغرض الأسمى . وذلك بأن :

(١) نشجع الأطفال على الأسـئلة ، ونسرع بالأجابة عنها ، ونوضح لهم الغامض ، وننتهز هذه الفرصة — فرصة أسئلتهم وإجاباتهم التي يريدون بها التوصل إلى السيطرة — لنزودهم بقسط وفير من المعلومات النافعة .

(٢) نكافئهم أحيانا — إذا أبدَوْا بلاء حسنا — أو نثنى عليهم إذا قاموا بشيء من جلائل الأعمال ، مع عدم الإسراف فى هذين الأمرين أو الالتجاء إليهما إلا فى أوقات قليلة ، لكيلا يكون الثناء أو المكافأة هو الغرض المنشود بدل أن يكون وسيلة إلى تحصيل العلم وتهذيب الخلق وتقوية الجسم .

(٣) نرعى الضعيف رعاية خاصة كى يقوى ، مستعينين على ذلك بإثارة غزيرة السيطرة وتحريكها .

(٤) تكليف بعض الأطفال — وخاصة التلاميذ — مراقبة فريق منهم أو رعاية بعض الأثاث ، كأن تعهد إلى تلميذ بمراقبة الفصل إلى أن يجيء المعلم ، أو حراسة ما فيه من الأدوات طول العام ، أو إعداد بيان بمن يتخلفون عن إحدى الرحلات أو ....

فلهذا كله أطيب الأثر إذا استعمل بحكمة وحذر .

٭٭٭

الملخص

(١) غريزة السيطرة : هى قوة تدفع صاحبها إلى العمل على إخضاع غيره .

(٢) فائدتها : المساعدة على الحرية ، والافتنان ، وإتقان الأعمال ، وهجر الصغائر .

(٣) تنمو بتشجيع الأطفال بالطرق الخاصة ، ومكافأتهم والثناء عليهم أحيانا ، وإعطائهم شيئا من النفوذ مع مراقبته

***

غريزة الخضوع

هذه الغريزة ضد سابقتها . فبينا نرى الأولى تعمل على توسيع نفوذ الحيوان ونشر سلطته ، تعمل الثانية على إضعافه وتضييق دائرة سلطانه .

والخوف هو أعظم عامل يقوى هذه الغريزة ، وكذلك الضعف — سواء أكان جسميا أم غير جسمى — فهو يدفع صاحبه إلى الخضوع والاستسلام لمن يراه أقوى منه ، ومن أجل ذلك كان اليأس مؤديا للخضوع لأن اليأس نوع من أنواع الضعف

مزاياها

ليست هذه الغريزة شرا محضا ، فلها مزاياها العظيمة التى منها :

(١) خضوع المرء للقوانين العامة لشعوره بالضعف [1] أمامها

(٢) احترامه غيره من الناس خشية أذاهم ، فإن هذا الاحترام نوع من أنواع الخضوع .

(٣) إطاعته الدين وانقياده لأحكامه ، لعجزه أمام القوة التى تسيطر على الكون .

(٤) منازعة هذه الغريزة لسابقتها فتكسر حدتها ، فلولا غريزة الخضوع لاشتدت غريزة السيطرة وجمحت بصاحبها إلى حيث يريد أو لا يريد ، فالذى يقاومها ويضعف شدتها ويعترضها فى بعض نزعاتها هو « الخضوع »

ما يجب لها

علينا أن نلتفت إلى الجانب الطيب من هذه الغريزة فنتعهده بالرعاية ونحسن مراقبته . وأهم الوسائل لذلك :

(١) معاملة الأطفال بالحسنى جهد المستطاع ، لأن القسوة المتكررة تضعف فيهم بعض الغرائز الجليلة كحب السيطرة ، وتنمى فيهم الخضوع إلى الحد المرذول .

(٢) معاقبتهم — إن أذنبوا — عقابا يتناسب مع ذنوبهم ، لأن ترك العقاب يدعو للتمرد فتضعف الآثار الحميدة التى لغريزة الخضوع . على أن بعض المربين ينصح باستعمال الصفح والعفو أحيانا ، ويرى أن تحتيم العقوبة من أجل حصول الذنب

---

(١) ليس من اللازم أن يكون الضعف هنا جسميا فقد يكون ناشئا من الاحترام . والاحترام يحمل صاحبه على الخضوع فيظهر بمظهر الضعفاء وإن كان ليس منهم

يؤدى إلى الاستسلام ، فيشب الولد جبانا خائر العزيمة ، راضيا الذل والاستعباد ، ولهذا نتائج سيئة فى الأمة ، إذ الأمة مجموع أفراد إذا صلحوا صلحت ، وإذا فسدوا فسدت .

والحق أن الأمر فى العقاب متروك لحكمة المربى وبعد نظره وحسن تقديره

(٣) توضيح المشكلات لهم ، وإقناعهم بالأدلة والبراهين ، فهذا يحملهم على الخضوع المحمود .

(٤) الصبر والحلم فى معاملتهم ، لأن الغضب يدعوهم إلى المقاومة ومقابلته بمثله ، أو يدعوهم للخضوع من غير اقتناع وكلاهما ذميم .

(٥) تشجيع الأعمال التى تستدعى الخضوع ، وخاصة ما كان منها سارًا ككرة القدم والسباق .

* * *

الملخص

(١) غريزة الخضوع هى : قوة تظهر صاحبها بمظهر الاستكانة والانقياد لغيره .

(٢) أهم عواملها : الخوف والضعف

(٣) مزاياها : احترام القوانين والدين والناس وتهذيب غريزة السيطرة .

(٤) ينمو الجانب الصالح منها : بحسن معاملة الأطفال ، ومعاقبتهم أحيانا ، وتوضيح المشكلات لهم ، واستعمال الصبر والحلم معهم

* * *

غريزة الاجتماع

أهميتها :

تميل أنواع الحيوان المختلفة إلى الألفة ومعاشرة غيرها ميلا لا تَسْهُلُ مخالفته . ومن المستحيل أن يعيش الإنسان إذا انقطع انقطاعا تاما عن غيره ، وليس الأمر مقصورا على الانقطاع التام بل إن الانقطاع المؤقت فترة من الزمن يؤلمه أشد الألم ، وقد ينتهى بالموت ، ولذلك كان الحبس الإفرادى من أشد أنواع العقوبات .

فتكوين الأسر والقبائل والأمم وتضافر الجماعات الحيوانية الأخرى كل ذلك قد دعا إليه الميل الفطرى كى تتعاون وتعمل على مافيه حفظ النفس ومتعتها . فليس من الاجتماع بدّ .

وما دام الأمر كذلك وجب للانتفاع بهذه الغريزة مراعاة ما يأتى :

(١) عدم حرمان الطفل الاتصال بغيره ، لأن فى هذا الحرمان حبسا لدافع نفسى قوى ، وكبحا لغريزة قوية يؤدى كبحها إلى أذى التلميذ بحرمانه الاستفادة والسرور ، وتركه زميلا لهواجسه وأفكاره ، وقد ثبت أن بعض الأمراض ينشأ من ذلك إذا طالت مدة الانفراد .

(٢) اختيار الجماعات التى يتصل بها فى المنزل أو غيره من بين الجماعات التى مُنِحَتْ نصيبا مناسبا من التهذيب .

لأن الطفل يتأثر بمن يختلط بهم ويحاكيهم فى كثير من صفاتهم ،

فمن الواجب أن تكون البيئة التى يتصل بها صالحة على قدر الإمكان سواء أكان ذلك الاتصال قليلا أو كثيرا .

(٣) إنشاء جماعات من الأطفال ـ بالمدارس وغيرها ـ كجماعات الرحلات والأناشيد والكشافة والإحسان و . . . . مع مراعاة أن يكون الأفراد فى تلك الجماعات متقاربين فى السن والمعرفة ، فإن انقطاع التلميذ إلى من هم اكبر منه يورثه السآمة ، ويضعف فيه غريزة الاجتماع . واختلاطه بمن هم أقل منه ينمى فيه غريزة السيطرة إلى حد مرذول كما ينمى فيه بعض صفات غير محمودة كالغرور والإهمال .

* * *

الملخص

(١) غريزة الاجتماع هى : قوة تدفع الإنسان إلى معاشرة غيره .

(٢) طريقة الانتفاع بها : ألا يُحرم الطفل الاتصال بغيره . وأن تكون بيئته صالحة ، وأن تنشأ جماعات مختلفة من الأطفال المتقاربين سنا ومعرفة .

* * *

غريزة الاستطلاع

يشاهد الطفل شروق الشمس صباحا وغروبها آخر النهار فيواصل الأسئلة فى ذلك، كأن يقول:

أين كانت الشمس قبل ظهورها ؟ وأين ذهبت ؟، ولماذا تظهر وتغيب؟ وهل هى تتحرك وتسير كما يبدو لنا ؟ ، وما الذى يمسكها فى السماء؟

ويشاهد القمر ليلا فيسألك :

أين كان نهارا ؟ ، ولماذا لا يظهر كل ليلة ؟ ، وما سبب ظهوره باشكال مختلفة ، فمرة كالقرص وأخرى كالقوس وثالثة غير ذلك ؟

ويشاهدك تملأ الساعة فيسألك سر ذلك ؟ . وكيف تدور ، وكيف تبين الوقت ؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التى تحوى — فى كثيرا من الأحيان — شيئا من الصعوبة بسبب :

أن الإجابة عنها غير معروفة للمسئول ، أو صعبة الفهم على الطفل

فإذا سأل الطفل أباه الذى لم يدرس الكهرباء عن سبب الرعد والبرق فإنه لا يستطيع الإجابة ، وإن كان من الذين درسوا الكهرباء فانه لا يستطيع أيضا تحقيق رغبة السائل .

فتلك الأسئلة وما شابهها أثر من آثار غريزة الاستطلاع فهى :

« التى تدفع المرء إلى الرغبة فى استكشاف الحقائق الخفية والسعى وراء معرفة المجهول »

ولها أثر كبير فى الحياة ، فبها يصل الطفل إلى كثير من المعلومات

وموضوعات الفنون ، ويدرك كثيرا من حقائق الكون . ولذلك كانت أساسا لنمو مظهر المعرفة كما سبق .

وهى وسيلة إلى الاختراع ، وحمل الطفل على القيام بعمل خاص وهو راض مسرور ، إذ يمكنك أن تنتهز فرصة اسئلته فتكلفه قراءة كتاب معين أو أداء عمل نافع .

أهم الوسائل لتنميتها :

(١) الإجابة عن الأسئلة التى يقصد بها الطفل الوصول إلى المعرفة لا الاسئلة التى يقصد بها العبث وإضاعة الوقت .

(٢) توجيهه إلى بحث الأشياء الجذابة كرؤيته تمثالا لعظيم ، أو أثرا من الآثار التاريخية ، ليكون فى هذا إثارة غريزة الاستطلاع فيعرف ما يستطيع معرفته بنفسه ويسأل عما لا يستطيع .

(٣) علم مبادئ الأشياء والأعمال اليدوية من العلوم التى تنمى هذه الغريزة ، وكذلك علم الجغرافيا

(٤) قص الحكايات التاريخية وأخبار الكاشفين والفاتحين والعظماء

(٥) إلقاء بعض الأسئلة على الطفل ليبحث عن إجاباتها ، ويشترك معه المربى فى مناقشتها وتمحيصها ، ويزوده فى خلال ذلك بما يشاء من الحقائق العلمية المناسبة ، مستخدما هذه الغريزة ، مستعينا بتشويقه ، لكيلا يشعر بملل أو إجهاد .

***

الملخص

غريزة الاستطلاع هى: قوة تدفع صاحبها إلى السعى لإدراك المجهول
وفائدتها: اكتساب العلوم وتعلم الفنون والابتكار.
وتُنَمَّى بالإجابة عن أسئلة الأطفال، ولفتهم إلى الأشياء الجذابة، وقص الأخبار النافعة لهم، وإلقاء بعض الأسئلة عليهم.

* * *

غريزة الاقتناء

إذا أبصر الطفل لعبة جميلة فى يد غيره مد يده لتناولها. ويبكى — فى الغالب — إن لم يأخذها

ويرى صورة بديعة موضوعة على النضد فيحاول أخذها. ويشاهد نقود اخيه المدخرة فيعمل على الاستيلاء عليها، وكذلك النمل وصنوف كثيرة من أنواع الحيوان.

يحدث كل هذا وأشباهه بدافع من غريزة الاقتناء أو التملك، وهى: «التى تدفع الحيوان(١) إلى طلب الثروة والسعى فى الإكثار منها أيا كان نوعها»

جانباها

ولها جانب محمود وآخر سيء، أما جانبها المحمود فمن آثاره أنه:
(١) يدفع الحيوان إلى العمل لتجميع الثروة.

(١) فليست خاصة بالانسان

(٢) ويدعوه للمحافظة على ما يملكه ، والعناية به ، والاقتصاد فيه .
(٣) ويحمل الإنسان على معاملة الناس بالحسنى ليستعين بهم فى تذليل العقبات . لأن فى هذا التذليل تسهيلا لجمع الثروة .

وأما جانبها المذموم فهو : طغيانها على صاحبها ، فتحمله على السرقة أو النهب أو الحصول على الثروة من طريق غير مشروع . فواجب المربين أن يعملوا على تنمية الأول وإضعاف الثانى . ولذلك طرق منها :

(١) إيجاد عمل مناسب للفقراء ، بحيث لا يترك أحد منهم من غير عمل إلا لسبب قاهر ، لأن الفقير إذا لم يجد عملا يجلب له شيئا من الرزق أو الثروة اندفعت فيه غريزة الاقتناء ، وقامت بوظيفتها من غير مبالاة بالطريق الذى تسلكه فتحمله على السرقة أو النهب أو أمثال ذلك .

(٢) تمليك كل طفل بعض الأشياء التى تلائمه ليقوم على استثماره بنفسه ، وهنا يظهر بوضوح عمل هذه الغريزة ، إذ تدعو صاحبها إلى تنمية ما فى يده والعناية به .

(٣) دعوة الأطفال لزيارة الملاجئ التى تحوى المرضى من الأغنياء ليعلم أولئك الأطفال أن الثروة ليست هى السعادة التى نبتغيها فى الحياة ، فكم من غنى معذب ؟ وبذلك لا يهيمون بالثروة هياما قد يحملهم على الشطط .

(٤) دعوتهم لزيارة السجون — مرات قليلة — ليكون لهم عبرة بمشاهدة اللصوص ، فلا تحدثهم أنفسهم بجمع الثروة من طريق غير مباح

(٥) تشجيع التلاميذ على جمع نماذج للمحصولات المختلفة والأعمال اليدوية والرسوم و ..... وإعداد متاحف خاصة لهم

* * *

الملخـــص

(١) غريزة الاقتناء هى : قوة تدعو الحيوان إلى تجميع الثروة .

(٢) فوائدها : جمع الثروة ، والمحافظة عليها . ومعاملة الناس بالحسنى وضررها أنها : قد تطغى على صاحبها فتحمله على جمع المال من طريق غير مشروع

(٣) تنمى : بالقضاء على البطالة ، وتمليك الطفل بعض الأشياء ، ودعوته أحيانا لزيارة السجون وملاجىء الأغنياء و إعداد المتاحف .

٭٭٭

غريزة الهـــــرب

تظهر آثار هذه الغريزة فى أوقات الخوف ، حيث تساعد الحيوان على الفرار مما يكره . فلهـا بغريزة الخوف اتصال وثيق إذ لا يمكن أن يوجد الهرب إلا إذا سبقة الخوف ، ومن أجل ذلك كانت الأمور التي تحرك غريزة الهرب ناشئة مما يحرك الأولى.

وللهرب مزايا فى أنه يدفع صـاحبه إلى النجاة من الأخطار ، ولـكنه إذا تـكرر تبعا لتـكرار العوامل المخيفة أدى إلى القلق المستمر واضطراب صاحبـه ، وعدم انتظام حالته الصحية وغير الصحية . ولهذا كان الواجب علينا — لـكى ننتفع بالجانب الصـالح من هذه الغريزة — أن نراقب الغريزة الأخرى — غريزة الخوف — فى

الأطفال ، فلا ندعها تنمو حتى تصل بهم إلى الحد المذموم ــ حد الوساوس والاستسلام للأوهام ـــ ولا نتركها تضعف وتضمر فيهم إلى حد يدفع صاحبه إلى الهوج وعدم المبالاة اللذين هما نتيجة لضعف الخوف المحمود

وللخوف آثار جسمية وغير جسمية تظهر على الخائف ، سواء أكان طفلا أو غير طفل ، وهو فى الأطفال أقوى منه فى الكبار وله أسباب كثيرة ، ترجع إلى أمر واحد ، هو : «توقع الضرر »

فالظلمة والصحراء والأسد والحرب والغابات الكثيفة و .... كلها مخيفة لذلك السبب .

وعلاج الخوف المذموم ـــ مهما تعددت أنواعه ـــ أمران :

(١) أن نكشف للخائف عن حقيقة الأشياء المجهولة التى يخافها فيدرك سرها ويطمئن إليها .

(٢) ألا يرتكب الإنسان مخالفة لأحد القوانين ، سواء أكانت إلهية أم حكومية أو عرفية . وبذلك لا يتوقع العقوبة . ويأمن الخوف

وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا بعض ما قاله صاحب (١) كتاب «تهذيب الأخلاق» فى الخوف وأسبابه وعلاجه ، فهو يتفق مع ما يقوله العلماء اليوم .

قال :

(لما كان الخوف الشديد فى غير موضعه من أمراض النفس ، وكان متصلا بهذه القوة وجب أن نذكر أسبابه وعلاجه فنقول :

---

(١) هو ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ ﻫ وهو من كبار الفلاسفة المسلمين .

« إن الخوف يعرض من توقع مكروه وانتظار محذور ، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث فى الزمان المستقبل ، وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت يسيرة ، وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة .

« والأمور الممكنة ربما كنا نحن سببها وربما كان غيرنا سببها ، وجميع هذه الأقسام ليس ينبغى للعاقل أن يخافها .

أما الأمور الممكنة فمترددة بين أن تكون وبين ألا تكون ، وليس من الواجب أن يصمم على أنها تكون فيستشعر الخوف منها ، ويتعجل مكروه التألم بها ، وهى لم تقع بعد ولعلها لا تقع ....

فهذه حال ما كان منها من سبب خارج[1] ، وقد أعلمتك أنها ليست من الواجبات التى لا بد من وقوعها ، وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب أن يكون على قدر حدوثه ، وإنما يحسن العيش وتطيب الحياة بالظن الجميل ، والأمل القوى ، وترك الفكر فى كل ما يمكن ألا يقع من المكاره

« وأما ما كان سببه سوء اختيارنا ، وجنايتنا على أنفسنا فينبغى أن نحترز منه بترك الذنوب والجنايات التى نخاف عواقبها ، ولا نقدم على أمر لا نأمن غائلته ، فإن هذا فعل من نسى أن الممكن هو الذى يجوز أن يكون وألا يكون . وذلك أنه إذا أتى ذنبا أو جنى جناية قدر فى نفسه أنه يخفى ولا يظهر ، أو لا يخفى فيظهر إلا أنه يُتَجَاوَزعنه أَوْ لا

---

(١) أى ليس من المرء نفسه .

تـكون له غائلة ، وكأنه يجعل طبيعة الممكن واجبا ، كما أن صاحب القسم الأول يجعل أيضا الممكن واجبا ، إلا أن هذا يأمن الجانب المحذور خاصة وذاك يخاف الجانب المأمون خاصة....

وأما الأمور الضرورية ، كالهرم وتوابعه ، فعـلاج الخوف منه أن نعلم :

أن الإنسان إذا أحب طول حياته فقـد أحب لا محالة الهرم واستشعره استشعار مالا بد منه....)

***

الباب الرابع

الانفعـــال

إن عامة الناس يفهمون من هـذه الكلمة ما لا يفهمه خاصتهم الدارسين علم النفس، فقد كان الشائع ــ ولا يزال ــ من معنى تلك الكلمة: أنه الحدة وثورة الغضب، ولـكن هذا المعنى لا يشمل كل حالات الانفعال.

وإليك ما يوضح الأمر على حقيقته، مُنْتَزَعاً من الأمثـلة الآتية:

هبك تناولت كتابا يصف الحرب العظمى وأهوالها، وما جرته على الأمم والأفراد من أهوال ورزايا، ثم شرعت فى قراءته حتي وصلت إلى وصف معركة دامية، حمى فيها وطيس القتال، فتناثرت الأشلاء، وطارت الرءوس فى الفضاء، وسالت الدماء بحارا، وعملت المدافع عملها فى حصد النفوس وإزهاق الأرواح و.....

فأنت حين يتعلق شعورك بأهوال هـذه المعركة ويشتد تدريجا تعتريك مظاهر من الألم مختلفة، يظهر بعضها على الأعضاء الجسمية الخارجية، أو الأعضاء الداخلية، أو عليهما معا، كأن يقشعر الجلد وترتجف الأعضاء، ويضطرب القلب فلا تنتظم دقاته، وتختل حركة التنفس، ويصفر الوجه، وتفيض العينان بالدمع، وربما ولى ذلك إغماء أو ذهول.

فكل صورة من هذه الصور دليل على الألم، لأنها أثر من آثاره

والألم أحد مظهرى (١) الوجدان كما عرفنا ، وإذاً تكون هذه الصور مظاهر وجدانية كل واحدة منها تدل على وصف معين.

فهذا الشعور القوى وما ينشأ عنه من آثار جسمية مرئية أو غير مرئية هو : « الانفعال »

مثـــال آخر

إذا كنتَ طالبا فى إحدى المدارس العالية ، وأديت الامتحان النهائى (الدبلوم) ومكثت فى بيتك تترقب أخبار النتيجة ، فجاءك صديق وهنأك بنجاحك وأنك « الأول » ففى هذه الحالة يتجه شعورك إلى هذا الخبر ، وتعرض لك مظاهر مختلفة تجرى على ظاهر الأعضاء ، كتهلل الوجه ، وابتسام الثغر ، أو تجرى بين الأعضاء الداخلية ولا يمكن مشاهدتها كتدفق الدم فى القلب ، وسرعة القلب ونشاط الدورة الدموية .

وقد يحصل الأمران معا .

فهذه الصور كلها ناشئة من السرور الذى هو المظهر الثانى للوجدان ، فهى إذاً مظاهر وجدانية نشأت من اتجاه الشعور إلى أمر النجاح .

فهذا الشعور وما نشأ عنه يسمى : « الانفعال »

فالانفعال هو :

« حالة قوية تنشأ من تعلق الشعور بأمر من الأمور فتحدث تغيرات جسمية ومظاهر وجدانية (٢)

(١) وهما السرور والألم كما تبين فى الباب الأول

(٢) يرى جمز (أستاذ علم النفس بجامعة هافارد سابقا) رأيا آخر فى الانفعال إذ يقول : « إن هذه الصفات والمظاهر تحدث مباشرة بعد تعلق الشعور بالحقيقة المؤلمة أو السارة ، وإن إدراكنا هذه العوارض الجسمية عند حدوثها هو الانفعال »

فالفرح والخوف والحزن والغضب والحسد والغيرة والشفقة والخجل وأشباهها كلها أنواع من الانفعال، ومن اليسير حل (تحليل) كل منها إلى عناصره ومعرفة ما له من الصفات والمظاهر الوجدانية. فالخوف مثلا يحدث من توجيه الشعور إلى أمر غير مرغوب فيه، فيؤثر فى حاستى السمع والبصر — غالبا — بعض التأثير، ويسرع التنفس، ويوقف عمل بعض الغدد، ويجفف الريق، ويدعو إلى اتساع العينين، ورفع الحاجبين.

وهذه الصفات بعضها ظاهرىّ والبعض الآخر داخلى لا يرى، وهى فى الوقت نفسه تحدث ألما، فهى مظاهر وجدانية، وهذا كله هو الانفعال.

وهكذا باقى الأنواع.

الفرق بينه وبين الغرائز

(١) إن الانفعال لابد أن يسبقه اتجاه الشعور إلى أمر سارّ أو مؤلم، كما فى قراءة أخبار الحرب العظمى وأوصافها، وكما فى سماع أخبار النجاح، أما الغريزة الخالصة فلا علاقة لها بالشعور، وإنما تقوم بعملها بباعث نفسى وآخر خارجى من غير أن يسبق بفكر أو تدبير — كما سبق —

(٢) المؤثر الخارجى فى الانفعال — وهو الذى يشتغل به الشعور — أعظم عامل فى وقوعه، بخلاف الغريزة فإن المؤثر الداخلى هو الأقوى.

(٣) آثار الانفعال تقع على الجسم المنفعل نفسه ، أما آثار الغرائز فتحدث خارج الجسم ولكنها تتصل به كما عرفنا.

اختلاف الانفعال فى النوع والقوة والبقاء

عرفنا أن الانفعال تلازمه مظاهر وجدانية ، وتلك المظاهر إما سارة أو مؤلمة كما هو الشأن فى كل أمر وجدانى ، ولذلك كان الانفعال نوعان سار أو مؤلم ، ودرجة السرور تختلف فى تأثيرها ، فسرور الإنسان بنجاحه فى عمل بذل فيه مجهودا عظيما — كالاختراع — يكون أقوى من سروره بنزهة فى باخرة.

وكذلك الألم درجات : فالألم الناشئ من الخوف على الحياة يفوق ألم الخوف من انزلاق الرِّجْل فى الطريق المبلل.

وكما تختلف درجات السرور والألم فى الشخص الواحد تختلف أيضا باعتبار الأشخاص المتعددة ، فما يراه هذا سرورا عظيما قد يراه ذاك عاديا ، وما يعتبره شخص ألما حادا يعتبره آخر ألما يسيرا ، وهكذا يتفاوت الأمر بتفاوت الأحوال والأشخاص ، ومن ثَمَّ ، كان الانفعال متفاوتا فى درجته.

وكذلك يتفاوت فى طول مدته أو قصرها على حسب اشتغال الشعور بالباعث ، فالخوف من الرعد ينتهى بانتهائه ، أما الخوف من عدو قاس فلا ينتهى إلا بإخضاعه أو موته أو ذهابه إلى جهة يُؤْمَنُ شره فيها ، وخوف المذنب لا ينتهى إلا بالعفو عنه أو توقيع العقوبة عليه.

علاقة الانفعال بالحالة الجسمية

إن بين الاثنين صلة قوية ، فللأمزجة — وهى إحدى الحالات الجسمية — دخل كبير فى حدوث الانفعال ، وفى درجته قوة وضعفا . فأصحاب المزاج الدموى يكثر فيهم الانفعال ، ويكون شديدا ، على خلاف أصحاب المزاج الصفراوى ، ومِنْ ثَمَّ كان للمُناخ دخل فى الانفعال وفى درجته ، كما أن لباقى العوامل المكتسبة — التى تسمى « مؤثرات البيئة » (١) — أثرا عظيما فى ذلك ، لأنها تؤثر فى الوجدان فتجعله قويا مرهفا ، أو ضعيفا خاملا ، وقد عرفنا أن المظاهر الوجدانية هى أهم عناصر الانفعال ، فلست تنتظر من الجاهل أن يكون انفعاله كالمتعلم ولا من ساكن الصحراء أن يكون كالمدنى ، وليس سليم الجسم فى انفعاله كالمريض ، وليس الذى تحوطه رفقة بررة أطهار كمن يلتف حوله فريق من السوقة والأوغاد .

وللوراثة أثرها أيضا ، فالمرء قد يرث من والديه وأجداده سرعة الغضب أو الحلم أو الشجاعة الأدبية أو غيرها من الصفات التى يرى أكثر العلماء أنها تورث . وقد يرث أيضا بعض الصفات الجسمية التى لها أثر فى كثرة الانفعال وشدته كضعف المجموع العضبى ضعفا يجعل صاحبه أكثر انفعالا وأقوى درجة من غيره .

أثر الانفعال فى حياة الإنسان

يتصل الانفعال بالوجدان اتصالا وثيقا (٢) ، فما يثبت للوجدان من خير أو شر يثبت للانفعال أيضا . فالشجاعة الأدبية ، والغضب

---

(١) وستذكر بالتفصيل فى الباب الأخير

(٢) لأن الانفعال هو مظاهر وجدانية متعددة

فى الحق، والإسراع إلى حماية الضعيف ممن يظلمه، وإسعاف المنكوب والذود عن الأوطان كل واحدة من هذه تشمل عدة مظاهر وجدانية طيبة . فهى انفعال طيب مفيد .

وقد يغلب الوجدانُ التفكير ويقوى إلى درجة مذمومة فيكون ضارا إذ يجعل صاحبه أهوج طائشا ، كمن يسرع إلى الغضب من غير نظر للعواقب، ومن يندفع لمساعدة الضعيف من غير أن يتبين استحقاقه للمساعدة، ومن يجود بكل ما يملك على المحتاج فهذه كلها مظاهر وجدانية سيئة ، فانفعالها سيئ أيضا ، لأنها تؤدى إلى الخطأ فى تطبيق القوانين أو إلى الفقر . وقد تؤدى إلى الموت كالفرح العظيم أو الحزن القوى .

وقد يضعف الوجدان فيكون لضعفه نتائج سيئة ، كالتوانى عن المستغيث، وإهمال الجريح، وعدم الاهتمام بمصالح الوطن ، والتراخى فى إنقاذ الغريق إذا كان من الممكن إنقاذه .

والوجـــدان الضعيف يحرم صاحبه مزايا كثيرة، منها مزايا الانفعال وهى التى لها أعظم الأثر فى حياة الأمم والأفراد .

ومما تقدم نستطيع أن نفهم ما يقوله النفسيون :

(إن الانفعال يتبع الوجدان وجودا وقوة وآثارا)

***

الملخص

(١) الانفعال تهيج عقلى يتبعه تغيرات جسمية ومظاهر وجدانية

(٢) بين الانفعال والغريزة ثلاثة فروق :

الانفعال يسبقه شعور   أما الثانية فلا

» يكون الدافع الأقوى فيه هو المؤثر الخارجى، أما الغريزة فالدافع الأقوى فيها هو المؤثر الداخلى .

» آثاره تكون فى صاحبه   أما الغريزة فآثارها خارجية متصلة بالجسم

(٣) يختلف الانفعال نوعا وقوة وبقاء باختلاف الأشخاص والعوامل المؤثرة .

(٤) أثر الانفعال كأثر الوجدان، قد يكون مفيدا نافعا إذا كان معتدلا، وقد يكون ضارا إذا كان هائجا أو خاملا



الباب الخامس
العـــواطف

معنى العاطفة

إذا قابلت شخصا لاتعرفه فوجدته طلق المحيا ، باسم الثغر ، وضاح الجبين . تزينه الهيبة والوقار ، فإنك تشعر بميل نحوه ، وتود لو تشترك معه فى حديث لترى منـه قدر نفسه . فإذا حادثته فوجدته سديد الرأى ، راجح العقل ، تنم أحاديثه عن نفس عالية ، وعزة موفورة ، اشتد ميلك إليه ، ورغبت فى زيادة الاتصال به ووددت لو توثقت بينك وبينه عرى الصداقة ، فتزوره فى بيته من أجل ذلك ، فيقابلك بوجه باش ، ويظهر لك من ضروب المودة وحسن التقدير مايزيدك رغبة فيه ، وتنتهى زيارتك فتحس بأسف على انتهائها ، وشغف بتكرارها ، أو أمل فى لقائه ، وكلما زدته لقاء زادك وفاء . فتتعلق به وتحرص على مودته ، وتود لقاءه فى كل حين

فهذا التعلق والود والحرص ـ كل أولئك ـ هو العاطفة

مثال آخر :

إذا بحثت عن منزل لتسكنه ، فرأيت منزلا ضيق الحجر ، قليل النوافذ لاتزوره الشمس إلا فى فترات قصيرة ، أبوابه غير مصقولة وزجاجه غير تام ، وحيطانه غير نظيفة ، وجيرته غير محمودة ، فإن

صدرك ينقبض وتشعر ببغض شديد له، وتنصرف نفسك عن رؤيته أو الدخول فيه، وتحس الكره الشديد لكل ما يتعلق به، وكلما رأيته أو ذكرته عادت إليك ذكراه السيئة

فالانقباض والبغض والكره كلها نوع من أنواع العاطفة.

فالعاطفة إذا هى :

« ميل شديد أو نفور قوى لأمر من الأمور بشرط أن يتكرر ذلك الميل أو النفور » (١)

فالذى يقرأ الكتب العلمية، والذى يفر من ظلم الضعيف، أو يتألم من أذى البائس، ومن يسرع إلى إقامة الملاجىء، أو مساعدة المنكوب أو رحمة اليتيم، ومن يجزع من إنكار الحق، وشهادة الزور، وارتكاب الجرائم، كل أولئك أصحاب عواطف إن كان عملهم ناشئا عن ميل يتكرر

تكوينها

ليست العواطف إلا عادات وجدانية تنشأ وتثبت بالتكرار كالعادات الجسمية أو الفكرية، فتكرار الشعور السار أو المؤلم يترك آثارا وجدانية تحفظ فى النفس ملازمة لما يحفظ من المعلومات وتعود معها مرة ثانية إلى دائرة الشعور فى الوقت المناسب بعامل الترابط (تداعى المعانى)

---

(١) هذا هو تعريفها عند علماء النفس . ولكن العرف أبعدها قليلا عن المراد منها.

ولكى يتبين لنا أن العواطف هى عادات وجدانية كسائر العادات الأخرى نسوق هنا مايقوله علماء النفس فى هذا الموضوع، فهم يقولون:

(إن غريزة «حب الاستطلاع» ـ إذا تعهدها المربى وقامت بعملها ـ ذات آثار جليلة، أهمها: تنمية المظهر النفسى المسمى: «بالمعرفة»

كما أن غريزة «السرور بالحسن، والألم من القبيح» لها آثار أهمها: تنمية المظهر النفسى المسمى: «بالوجدان»

ولغريزة «حب العمل» ــ إذا أدت وظيفتها على الوجه المرغوب فيه ــ آثار أهمها: تنمية المظهر النفسى المسمى: «بالنزوع»

ولكن ليس من المستطاع أن تقوم تلك الغرائز بتنمية المظاهر السابقة تنمية كاملة إلا بعد التمرين والتكرار، ومن التمرين والتكرار تنشأ العادات وتثبت. وإذاً لا بد أن يكون نمو المظاهر السابقة سببا فى وجود ثلاثة أنواع من العادات:

(١) عادات فكرية تنمو ملازمة لنمو مظهر الفكر
(٢) « وجدانية « « « الوجدان
(٣) « إرادية « « « الإدارة (النزوع)،

لهذا يقال فى العواطف إنها:

«عادات وجدانية» أو: «انفعال متكرر» أو:
«ميول وجدانية قوية تكتسب بالتكرار»

اتجاه العاطفة إلى شخص أو جماعة أو معنى مجرد كالعلم و...

أساس العاطفة هو: السرور أو الألم مع التكرار فى الحالتين. ومعلوم أن لكل منهما باعثا يعتبر فى الواقع هو المصدر الذى

أوجد السرور أو الألم، فهو السبب فى وجودهما وفى وجود العاطفة التي تتبعهما، ولذلك، تتجه العاطفة إلى ذلك المصدر وتنسب إليه، لأنه الأصل فيها وفيما يسبقها من سرور أو ألم

فإذا سمعت بعاطفة الأُخُوّة أو الأمومة أو الأبوة فمعنى ذلك السرور المتكرر الذى يصادفه المرء ويكون مبعثه الأخ أو الأم، أو الأب

واذا سمعت بالعاطفة العلمية كان معنى ذلك السرور المتكرر الذى يلاقيه الإنسان من دراسة العلوم

وإذا سمعت بعاطفة الخير، كان المراد الميل إلى الأمور المحمودة، والنفور الشديد من الكذب والمَلَق وارتكاب الآثام و ....

وإليك أمثلة أخرى للعواطف، ومنها تعرف طُرق تنوعها وتكوينها.

(١) تقوم الأم بتحقيق رغبة شديدة لابنها، فيشعر بسرور لذلك، ويتكرر عملها هذا فيتكرر سروره، إلى أن تنشأ عنده « عاطفة » المحبة لأمه لأنها مصدر سروره، وكذلك لوالده الذى يسره، وأخوته، فيحب الجميع، وتنشأ من ذلك: « العاطفة المنزلية »

(٢) يذهب الطفل بعد ذلك إلى المدرسة، ويشترك مع غيره فى حياتها الاجتماعية، خاضعاً لقوانينها ونظمها، متأثرا بمن فيها، فإذا كانت علاقاته بمن حوله سارة نشأت عنده عاطفة أخرى غير العاطفة المنزلية تسمى « العاطفة المدرسية »

(٣) بعد دراسته التاريخ وآداب اللغات والتربية الوطنية يتسع

خياله ، وينمو عنده الحكم والتعليل ، ويدرك أن الحياة تنازع وجهاد لا بقاء فيها إلا للقوى ، فتنمو عنده عاطفة جديدة ، هى : « عاطفة الوطنية »

وهكذا تتزايد عنده العواطف وتتسع فى مدلولها .

وللعوامل الطبيعية والمكتسبة أثر كبير فى نمو العواطف وتزايدها ، أو إخمادها وإيقافها بين حدود ضيقة . وقد قال بعض علماء النفس فى تأثر العواطف بالبيئة ما نصه :

« إذا كانت البيئة التى ينشأ فيها الإنسان جميلة دفعته إلى السرور ، فتتكون عنده عاطفة الميل إلى كل شىء منسق بديع — سواء أكان من عمل الخالق أم من عمل المخلوق —

« وإذا كانت تساعده على تغذية ، غريزة الاستطلاع ، وإدراك حقائق الكون شعر بسرور العلم ، واللذة فى طلبه ، فتنشأ عاطفة الحق والأخذ به » وإذا كان من يعيش بينهم ذوى أخلاق فاضلة ، يعملون الخير ولا يقترفون الآثام نشأ على أخلاقهم ، ووجد سرورا فى محاكاتهم ، فتنشأ عنده عاطفة الخير وحب الفضيلة

« وإذا أُخِذَ الناشئ — فى دور تكوين القوى العقلية — بالآداب الدينية والواجبات الشرعية حتى تصير من عاداته ويرى السرور فى أدائها تنشأ عنده العاطفة الدينية »

من كل ما تقدم نعلم أن هناك عواطف مختلفة ، وأن بعضها أشمل

وأهم من البعض الآخر ، فعاطفة المنزل أعمّ من عاطفة الأمومة ، والعاطفة الوطنية أعمّ من المنزلية ، وهكذا.

أهمية العواطف فى تكوين الشخصية

إن أكثر الأعمال الجليلة التى تتفاوت بها أقدار الناس إنما هى: « عواطف »

فتربية الأبناء ، واحترام الوالدين ، والإخلاص للزملاء ، وخدمة الوطن بأمانة ووفاء ، واستنكار الجرائم ، والفرار من الذنوب ، كل هذه عواطف . ولقد ثبت الآن :

« أن مجموع العواطف فى الأعمال الإنسانية الجيدة لا يقل عن ثلثيها »

وبهذه العواطف تتفاوت الأمم ، كما تتفاوت الأفراد ، فالأمة الهائمة بالعلم ، المتعلقة بالكشف ، الميالة الى المعاونة ، التى يحب كل فرد منها الخير لغيره كما يحبه لنفسه ، أرفع شانا وأعلى قدرا وأعظم جاها ممن حرمت تلك المزايا أو بعضها

ولهذه العواطف شأن آخر :

ذلك أنها على جليل قدرها ، وعظيم أثرها ، لا تحمل صاحبها عناء أو تعبا إذا كان تكوينها صالحا ، فهو يقوم بها كما يقوم الجسم بالأعمال العادية ، ومن ثم كان لها فوق مزاياها ما للعادات من مزايا جليلة سنعرفها فى الباب السادس .

الملخص

(١) العاطفة ميل متكرر إلى أمر أو إلى النفور منه

(٢) العواطف عادات وجدانية يثبت لها ما للعادات الأخرى

(٣) تتجه العاطفة إلى شخص أو جماعة أو معني مجرد أو . . . . إذا كان هو الباعث على السرور أو الألم ، أى: هو المصدر الذى ترجع إليه العاطفة.

(٤) العواطف مختلفة الأنواع

(٥) العواطف هى أهم الأعمال الإنسانية الجليلة ، حتى قيل إنها تشغل ثلثيها على الأقل.



الباب السادس

العادة وآثارها

العادة هى :

« ملكة تصدر منها أعمال متكررة يسبقها ميل نفسى قبل الشروع فيها »

وقد عرفنا فيما سبق أن الأعمال العادية تحتاج فى بدء تكوينها وتعلمها إلى الشعور (التفكير) ثم تستغني عنه فلا تعود تحتاج إلى شيء إلا إلى الميل قبل البدء فى القيام بها ، فالمشى والأكل والتحية ونحوها كلها عادات لازمها الشعور (التفكير) فى أول أطوارها ـ وقت تعلمها ـ ثم انصرف عنها بعد تكرارها ورسوخها

فالمشى مثلا فى طور تعلمه لابد فيه من الشعور (التفكير) وكذلك الأكل وغيرهما ، والطفل حين يشرع فى تعلم هذه الأشياء يبذل جهدا عظيما فى تدبير أمرها ليأمن الزلل ، وكلما تكرر منه العمل قل الشعور (التفكير) ، إلى أن يجيء الوقت الذى يؤدى فيه هذه الأعمال بغير الشعور (التفكير) ، ولا تحتاج منه إلى غير الرغبة التى تسبقها ، فمتى رغب اندفعت القوى إلى تنفيذ الرغبة كاندفاع الآلات .

نوعا العادة

العادة نوعان :

(١) جسمية : كالمشى والكتابة والكلام و . . . .

(٢) عقلية ، وهى :

(أ) فكرية ـ كالملكات التى يكتسبها الإنسان من دراسة العلوم الرياضية، والخوض فى البحوث الفلسفية والمنطقية

(ب) وجدانية ـ وهى الملكات التى يكون أساسها الوجدان، كالعاطفة المنزلية والمدرسية والوطنية .

هذا والتفكير يقوم بأعماله العادية من غير بحث فيها ، فهو ينجزها كما تنجز الآلات الصماء عملها . وكذلك الوجدان .

عوامل تكوينها

ومن المستطاع أن نُكَوِّنَ العادات المطلوبة إذا اتبعنا ما يأتى : —

(١) العزيمة الصادقة على العمل

فإذا رغبت فى تعلم صناعة نافعة ، فاعزم على ما تريد ولا تجعل للتردد سبيلا إلى نفسك .

(٢) الشروع فى تنفيذ ما عزمت عليه

إذ لا يكفى فى تكوين العادة أن تصمم على العمل من غير أن تتناوله بالتنفيذ .

(٣) تكرار العمل

فإن العادة لا تتكون إلا بذلك التكرار لأسباب أثبتها المشتغلون بعلم وظائف الأعضاء

(٤) المبادرة إلى تكوين العادة

فإن صغر السن المناسب يفيد فى تكوين العادات الجديدة، إذ المخ فى ذلك الوقت أقدر على التأثر بالإحساسات وعلى تحويل الأعمال الفكرية إلى أخرى عادية .

(٥) المواظبة على العادة الجديدة

لأن هجرها — ولو مرة واحدة — يفتح باب التردد إلى النفس ، وهو باب يؤدى إلى ضعف الإرادة ضعفا ينتهى بالخيبة وإخفاق الأعمال .

(٦) انتهاز الفرص الملائمة لتكوين العادة

ففرصة اشتداد البرد تساعد على عادة الرياضة الجسمية، كالكرة والمشى والسباق . وفرصة اشتداد الحر تساعد على تكوين عادة جديدة كالاستحمام بالماء البارد للسليم .

آثار العادة

للعادة فوائد ولها مضار ،

أما فوائدها فأهمها :

(١) توفير الوقت — فالنجار المتمرن لا يحتاج فى عمل باب إلى وقت كوقت المبتدئ فى هذه الصناعة.

(٢) الراحة — فذلك النجار لا يتعب فى مزاولة مهنته كتعب من لم يزاولها

(٣) الإتقان — لإن المران والتكرار هما أهم عوامل الإتقان

أما ضررها :

خضوع الإنسان لعادته بحيث يصبح مسلوب الإرادة — إلا إن كان من الأفراد الذين يستطيعون التخلص منها ، وليس ذلك التخلص بالأمر اليسير وخاصة لو طال الأمد وكان صاحبها قد

تعودها وهو صغير — ولذلك الخضوع أسوأ الأثر فيمن كانت عاداته سيئة ، فقد ينتهى بإتلاف صحته ، أو ضياع ماله ، وقد يعوقه عن الأخذ بوسائل الحضارة وما تنتجه قرائح العلماء والباحثين .

الملخص

(١) العادة ملكة يصدر منها عمل متكرر مسبوق بميل نفسى .

(٢) وهى نوعان جسمية (أى يقوم بها الجسم) وعقلية (يقوم بها : الفكر ، أو الوجدان) .

ولتكوين العادة عوامل ، أهمها : العزيمة ، ثم الشروع فى العمل ، ثم تكراره وعدم هجره ، وانتهاز الفرصة الملائمة للتكوين ، واختيار السن المناسبة .

(٤) فوائد العادة : توفير الوقت ، الراحة ، الإتقان

(٥) ضررها : خضوع المرء لها كثيرا وعدم قدرته على التخلص منها ، وهذا يجلب له أسوأ الضرر إن كانت عاداته سيئة .

***

الباب السابع

الإدراك الحسى

لا بد لنا من كلمة فى الحواس والإحساس قبل البدء فى هذا الموضوع .

الحواس :

يولد الطفل وليس عنده شىء من العلم بنفسه أو بغيره ، ولكنه قد زوّد بالحواس التى من خواصها الاتصال بما حولها من العالم المادى والانفعال بما يقوم به من الأعراض ، فينقل قسم من الأعصاب آثار ذلك الانفعال إلىأهم المراكز العصبية وهو المخ الذى يعتبر مركز التفكير

وأهم الحواس التى تصل الإنسان بالعالم المادى وخواصه خمس .

(١) حاسة البصر : وهى مهيأة لإدراك المبصرات، كأجسام الأشياء وأشكالها وسكونها و ....

(٢) « السمع : وهى معدة لإدراك الأصوات المختلفة ، حيوانية كانت كالكلام والصهيل، أو طبيعية كصوت الموج وأزيز الريح وقصف الرعد و ....

(٣) « اللمس : وهى مهيأة لإدراك الملموسات ، كالحرارة والبرودة والخشونة واللين و ....

(٤) حاسة الشم : وهى مهيأة لإدراك الروائح ، طيبة كانت كرائحة الورد، أو غير طيبة كرائحة زيت البترول ، و . . . .

(٥) « الذوق : وهى مهيأة لإدراك طعم الأشياء ، كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وأشباهها .

فمن آثار هذه الأشياء التى نحسها (أى من أنواع المدرك بالحواس) تنشأ القوة العقلية [1] ، وبيان ذلك :

أنه بعد ابتداء الحواس فى عملها الخاص ووصول آثار انفعالها إلى المخ تحدث أول ظاهرة نفسية فى حياة الطفل تعرف فى اصطلاح علماء النفس باسم : « الإحساس » وإنا نوضحه بالأمثلة الآتية :

« ا » بعد ولادة الطفل يلمس جسمه أشياء كثيرة أخرى تحدث انفعالا فى أعصاب حاسة اللمس ، وتنتقل آثار هذا الانفعال إلى المخ بعمل الأعصاب التى تسمى « الأعصاب الموردة » وينشأ من ذلك إحساس لمسى ، وهو إحساس خال من التأويل ، مجرد من أى فهم لحقيقته ، أو تفسير لكنهه ، فلا يدرى الطفل أهو إحساس بصرى أو سمعى أو لمسى أو غير ذلك .

« ب » عند أخذه الغذاء تنفعل حاسة الذوق وينتقل أثر الانفعال إلى المخ بعمل الأعصاب الموردة ، ويحدث إحساس ذوقى ولكنه خال من كل تفكير أو تأويل كسابقه .

---

(١) بالترتيب الآتى : الإحساس — فالحافظة — فالذاكرة — فالإدراك الحسى — فالتخيل — فالتفكير .

« ح » عند رؤيته تفاحة ـ أو غيرها ـ تتأثر حاسة البصر ، وينتقل الأثر مع الأعصاب الموردة إلى المخ ، ويحدث إحساس بصرى ولكنه مجرد أيضا .

« ء » عند سماعه صوت من حوله تتأثر حاسة السمع ، وينتقل الأثر مع تلك الأعصاب إلى المخ ، ويحدث الإحساس السمعى الخالى من كل تفسير كأنواع الإحساس التى سبقت .

فمن الأمثلة السابقة وأشباهها نعلم أن الطفل فى المدة الأولى لا يميز بين إحساس وآخر ، ولا يفهم ولا يدرك ما يحس . أى لا يستطيع أن يفسر الآثار التى تنقل إلى المخ . فهو لا يدرك أن هذا إحساس بصرى ، وأن ذاك لمسي ، وأن الثالث ذوقى أو غير ذلك . ويستمر على هذا الحال مدة تختلف باختلاف كل فرد وما يحوطه من الأنواع المختلفة للإحساس ثم يبدأ فى فهم ما يحسه وفى التميز بين إحساس وآخر ، فيعرف إحساس السمع ويميزه من إحساس اللمس أو الذوق أو غيرهما ، ويدرك بالتدريج آثار المحسات ويفهمها بوضوح . وبعبارة أخرى يميز أجناس الإحساس (١) كما يميز الأنواع الداخلة تحت كل قسم ، فيدرك الأشكال والألوان التى تدخل تحت الإحساس البصرى ، والأصوات الكلامية وغير الكلامية التى تدخل تحت الإحساس السمعى ، ويدرك الجفاف والرطوبة والخشونة والنعومة وغيرها مما يدخل تحت الإحساس اللمسى ، وهكذا .

ومتى ابتدأ الطفل فى التميز بين أجناس « الإحساسات » وأنواعها

---

(١) فيميز السمعى من البصرى ، والبصرى من الذوقى . وهكذا

كان هذا دليلا على بدء ظهور عقله بالفعل ، فإذا ميز الطفل بين برتقالة وتفاحة — بعد أن رأى وذاق ولمس كثيرا من جزئيات هذين النوعين من الفاكهة ووصل إلى مخه عدد وفير من الإحساس يكفي للتمييز بينهما — صح الحكم عليه بأنه قد ابتدأت عنده قوة الإدراك الحسي ، وكذلك إذا ميز بين شيئين أو أشياء أخرى بالطريقة السابقة .

فالإدراك الحسي هو :

« إحساس مصحوب بتأويل . (تفسير) »

فرؤية الطفل في أول ولادته برتقالة تحدث أثرا هو الإحساس فقط ، ولا وجود للإدراك فيه لأنه غير مصحوب بتفسير ، إذ الطفل لا يدري من هذا الأثر أنه بصري أو سمعي أو غير ذلك . فإذا ما تعددت رؤيته الفواكه وقامت الحواس بعملها مرات متكررة استطاع أن يحكم على البرتقالة أنها برتقالة وليست تفاحة ، وكذا غيرها من سائر الفواكه . وهذا الحكم هو المسمى : بالإدراك الحسي ، ومن ثمّ قلنا إن الإدراك الحسي هو :

« إحساس مصحوب بتفسير »

وإن شئت فقل إنه :

« تأويل العقل (أي تفسيره) آثار المحسات »

ويتضح مما تقدم أن الإحساس هو المواد الأولية التي يؤسس منها الإدراك الحسي ثم جميع القوى العقلية ، وعلى مقدار ما يصل إلى المرء من إحساس يكون نمو هذين وقوتهما ، وعلى مقدار هذا النمو والقوة تتوقف سيطرة الإنسان على بيئته وما يحوطه من الأشياء

ولما كان الإدراك الحسى يستمد من الإحساس وطريق الإحساس إنما هو الحواس التى هى أبواب العلم كان من الواجب رعايتها والعناية بها لتقوم بأعمالها خير قيام، لأنها إن كانت سليمة قادرة على أداء وظيفتها كان الإدراك الحسى واضحا فى النفس، ويلزم من وضوحه سهولة تذكره، والاستفادة منه فى نشأة القوى العقلية الأخرى من فكر وتعليل وتخيل و....

ولكون الحواس ذات قيمة عظيمة كما مر، رأى كثير من المربين وجوب الإشراف عليها وتعهدها من أول حياة المتعلم، واتخذوا لذلك وسائل، منها: إنشاء مدارس «رياض الأطفال» لتكون أساسا للتربية النافعة، ففيها تتكون «الإدراكات الحسية» بالتمييز بين الأشكال المختلفة كالكروى والمكعب والأسطوانى ومعرفة خواص كل

وكذلك التمييز بين الأشكال الهندسية وغيرها من كل ما يلعب به الأطفال

وهناك بعض مواد دراسية تساعد على تربية الحواس إن استخدمها المربى بالطرق الناجحة، كالجغرافيا — إذا عرضت فيها ذوات الأشياء أو نماذجها أو المصورات لها — وكالأعمال اليدوية مثل النجارة وعمل الأوانى من الطين والأشكال المختلفة من الورق. وكذلك دروس الأشياء وأمثالها.

***

الملخـــص

(١) لا بد قبل وجود الإدراك الحسى من تحقق ثلاثة أمور :

« ا » وجود مؤثر مادى يؤثر فى عضو أو أكثر من أعضاء الحس

«ب» وصول الأثر إلى المخ بعمل الأعصاب المصدرة

«ح» تكرار الإحساسات المختلفة ، فيصل عدد وفير منها ، إلى المخ ، ويستطيع بعد ذلك تأويل كل إحساس جديد

(٢) لذلك كانت الحواس أبواب العلم ومن الواجب تعهدها والقيام على رعايتها . وقد أنشئت « رياض الأطفال » لذلك

(٣) توجد علوم تساعد على تربية الحواس كالجغرافيا ونحوها



الباب الثامن

الترابط (أو: تداعى المعانى)

يتضح الترابط (تداعى المعانى) من الأمثلة الآتية :

(١) إذا ذكرنا مدينة الفسطاط أمام من يعرف تاريخ مصر فإنه يتذكر عمرو بن العاص ، وقد يتذكر بعض مواقعه ، كموقعة أم دُنين (١) وبلبيس .

(٢) إذا سمعنا اسم مدينة الخرطوم تذكرنا السودان ، وقد نتذكر سكانه ، وما لنا بهم من علاقة . وربما يمتد التذكر إلى حملة محمد على لفتح السودان ثم إلى ثورة المهدى .

(٣) إذا رأينا الشمس تميل إلى الغروب تذكرنا الليل وما به من ظلام ، وقد نتذكر طلوع القمر وأشكاله وتأثيره وما يحدثه من مد وجزر و . . . .

(٤) إذا أردنا أن نتذكر النصف الثانى من بيت شعرى فلم نستطع وتذكرنا النصف الأول فإننا نتذكر الثانى بعد ذلك غالبا ، وكثيرا ما نتذكر بعده أبياتا أخرى .

فما الذى يذكرنا تلك المعلومات القديمة ويعيدها إلى شعورنا ؟

إنه الترابط (أو تداعى المعانى) وهو :

---

(١) أم دنين (عابدين) الآن

«قوة ترجع الخواطر والمعلومات القديمة إلى دائرة الشعور وقت اشتغاله بخواطر أخرى لها اتصال بالأولى»

كيفية استرجاع المعلومات

إن تداعى المعانى نوع خاص من أنواع التـذكر، فإن استطعنا فهم طريقة التذكر، أمكننا أن نفهم بعـد ذلك طريقة تداعى المعانى التى هى نوع يندرج تحته.

للعلماء نظريات عدة فى طريقة التذكر، منها النظرية الحديثة وهى أشهرها وأكثرها أنصارا، وملخصها:

(١) أن المعانى والخواطر التى تتذكرها أصلها «إحساس» حملته الأعصاب المصدرة إلى المخ.

(٢) فتأثرت به بعض خلاياه تأثرا ماديا ـ بطريقة خاصة ـ وكان من نتائج ذلك التأثر تأويل الإحساس «تفسيره». وبهذا التأويل انتقل من مرتبة الإحساس المجرد إلى مرتبة: الإدراك الحسى، وتعلق به الشعور مدة من الزمن ثم انصرف عنه واشتغل بغيره، وحينئذ يصير ذلك الإدراك «معنى ذهنيا» (١)

(٣) بعد انصراف الشعور عنه وتحوله إلى معنى ذهنى فإنه يذهب إلى مكان نفسى يخزن فيه ولا يزول، وذلك المكان هو «الحافظة»

(٤) وللخلايا المخية التى تأثرت بذلك الإحساس أولا، وكذا التى اشتركت فى تأويله قدرة خلقية على استخراج ذلك المعنى الذهني — الذى كان إدراكا حسيا — من خزانته وإرجاعه إلى دائرة الشعور إذا تأثرت

---

(١) وهو الاسم الذى يطلق على الأدراك الحسى بعد انصراف الشعور عنه

تلك الخلايا وهاجت بإحساس أو إدراك حسي جديد بينه وبين الأول صلة أو ارتباط ، فترجع المعلومات القديمة ثانية ويحصل التذكر الذى يعتبر الترابط نوعا منه .

وليس عجيبا عند أصحاب هذا الرأى أن تتأثر الخلية المخية الواحدة بجملة مؤثرات مختلفة كثيرة ، لأنهم يقولون : إن المخ المتوسط يحوى أكثر من «٠٠٠و٠٠٠و٦٠٠» خلية ، كل واحدة منها صالحة لقبول آثار مختلفة من الإحساس وما يتطلبه .

وهم يجملون نظريتهم تلك فى العبارة الموجزة الآتية :

« إن الخلايا التى قامت بالإحساس والإدراك الحسى أولا قبل أن يصير معنى ذهنيا مخزونا هى التى تقوم باسترجاع تلك المعانى الذهنية إلى دائرة الشعور ثانيا إذا كان الشعور مشتغلا بمدركات لها علاقة بالاولى »

مما تقدم نستطيع أن ندرك كيفية الترابط « أو : تداعى المعانى » وطريقة حصوله

ولكن بقى علينا أن نعرف أنواع تلك الصلات التى لا بد منها فى الترابط ، إذ هى التى تهيج الخلايا المخية فتجعلها ترجع ما فات .

أما تلك الصلات فهى التى يسميها علماء النفس : قوانين الترابط(١) وهى :

(١) التشابه

ومعني هذا أن يكون بين الخاطر الذى يشتغل به الشعور الآن والخاطر القديم المخزون شبه فى أمر من الأمور ، فإذا رأيت ملكا عادلا شديدا فى الحق تذكرت عمر ، وإذا رأيت الهرم وضخامته

---

(١) يجب التثبت أولا من فهم المقصود من الأحساس والأدراك الحسى فهما عليما دقيقا

وارتفاعه تذكرت الجبل وصورته، وإذا سمعت الجنـــدل تذكرت سد أسوان

وسبب هذا التذكر وجود الشبه بين الخواطر القديمة والجديدة.

(٢) التضاد

ومعناه أن يكون بين الخاطرين القديم والجديد اختلاف تام واضح فى جهة من الجهات، كأن تسمع أخبار نيرون (١) فتتذكر عمر، أو ترى المربع فتتذكر الدائرة، أو تشاهد حلك الليل فتتذكر وضح النهار.

(٣) الاقتران الزمانى

يحصل كثيرا أن تذهب فى أوقات متتالية بلا فاصل جملةٌ من آثار المحسوسات إلى خلايا معينة فى المخ وتؤثر فيها تاثيرها الخاص. فقد تسمع صوت الخطيب مختلطا بصوت الهاتفين له فى الخارج وصوت من يهمس فى جوارك، وتذهب آثار هذه المؤثرات فى وقت متتابع إلى الخلايا الخاصة فتؤثر فيها.

وقد تسمع الخطيب وترى ذاته، وقد تلمس الوردة وأنت تشم رائحتها وتبصر لونها فى أوقات متتابعة قريبة التوالى

فسماع الخطيب ورؤية صورته هما مؤثران يذهب أثرهما إلى بعض الخلايا المخية، ولمس الوردة وشمها ورؤية لونها مؤثرات تذهب آثارها كذلك إلى المخ. وهذا هو ما يسمى « المصاحبة فى الوقت، أو: الاقتران الزمانى » فهو عبارة عن:

---

(١) ملك رومانى يقال إنه أحرق رومة ليلهو بمنظرها وهى تحترق.

« وصول أثار المحسوسات المختلفة إلى الخلايا المخية فى أوقات متقاربة تكاد تكون متحدة ».

فاذا رجعت بعض المعانى الذهنية المخزونة ، فإنها فى كثير من الأحيان تستعيد معها بعض المعانى الذهنية الأخرى التى حصلت معها فى وقت متتابع ، فأنت إذا تذكرت صورة الخطيب تتذكر معه صوته فقط ، أو صوته وصوت الهاتفين له ، وربما تذكرت صوته وصوت الهاتفين له وصوت الهامسين بجوارك و ....

وإذا تذكرت رائحة الوردة التى كانت معك فقد تتذكر لونها فقط ، أو لونها ودرجة نعومتها وطول ساقها ومقدار تفتحها و ...

(٤) الاقتران المكانى

ويقصد به :

« أن تتأثر الخلايا المخية بجملة مؤثرات موجودة فى مكان معين »

فاذا زرت دار الآثار القديمة ورأيت الحلى والملابس التى كان يلبسها ويستعملها الفراعين ونماذج الخبز والمراكب و ....

ثم زرتها مرة أخرى فرأيت تمثال « شيخ البلد » وعجلة رمسيس ، ثم زرتها بعد ذلك فرأيت الجثث المحنطة وآثار توت عنخ آمون فإن كل هذه المحسوسات تؤثر تأثيرها الخاص فى الخلايا المخية ، فيتعلق بها الشعور مدة ثم ينصرف عنها فتصير معانى ذهنية — كما عرفنا — فاذا استعادت الخلايا بعض تلك المعانى وأرجعته إلى دائرة الشعور ، رجع معه بعض آخر من تلك المؤثرات التى كانت موجودة فى دار الآثار القديمة ، فاذا تذكرت الحلى والملابس القديمة تذكرت الخبز والمراكب أو تمثال شيخ البلد أو عجلة رمسيس أو آثار توت

عنخ أمون، أو تذكرت هذه الأشياء جميعها، فهذا هو :
« الاقتران المكانى أو المصاحبة المحلية »

أهمية الترابط

إذا عرفنا أن استذكار الدروس والإجابة عما يوجه لنا من الأسئلة، والاختراع وتطبيق القواعد العلمية على العمل، كالنظريات الهندسية ونظريات الأدوية والطب و... موقوف على هذا الترابط أمكننا أن نعرف ماله من خطر وجليل شأن فى مختلف نواحى الحياة، ولذا وجب علينا أن نرعاه أكمل الرعاية، ونميه بالطرق الناجعة، وسنعرفها عند الكلام على الذاكرة (فإن العوامل التى تنمى أحدهما تنمى الآخر لما بينهما من وطيد الصلات)

***

الملخص

(١) الترابط هو :
« قوة ترجع الخواطر القديمة إلى دائرة الشعور وقت اشتغاله بخواطر أخرى لها اتصال بالأولى »

(٢) أنواع الاتصال أربعة : التشابه، والتضاد، والاقتران الزمانى والاقتران المكانى.

(٣) رجوع المعلومات ثانيا إلى دائرة الشعور هو خاصة من خواص الخلايا التى تأثرت بتلك المعلومات أولا

(٤) فائدة هذا الترابط ظاهرة فى استذكار العلوم وتطبيقها عمليا وفى الاختراع.

التخيل ، أو الخيال

إذا زرت إحدى القلاع فوجدتها بناء ضخما واسعا به كل ما يحتاج إليه الجنود من مدافع ورصاص وسيوف ومصنع للأسلحة ومطعم ومعبد وناد ومرقب(١) وملهى ، وبها حجر كثيرة بعضها لحاجات الجنود وبعض آخر للذخائر ومعدات الحروب ، جدرانها متينة عليها المدافع من كل جانب ، ثم رجعت إلى بيتك وانصرف شعورك عن كل ما رأيت إلى أن سألك أحد أقاربك أن تصف له القلعة فتذكرت ما سبق لك رؤيته وقصصته عليه بحالته التى رأيتها فإن تذكرك هذا يسمى : تخيلا حضوريا ، وهو :

« إرجاع المعانى الذهنية إلى دائرة الشعور من غير تغيير فى حقائقها وأوصافها »

ومن أمثلته :

استرجاع القواعد والدروس العلمية والتجارب الماضية ، وكل شىء آخر تعلق به الشعور فى وقت من الأوقات.

فالتخيل الحضورى نوع من أنواع التذكر.

أما إذا تذكرت المعانى الذهنية وأضفت إليها صورا أخرى من عندك فهذا يسمى : « خيالا مخترِعا ، أو مبتدِعا »

---

(١) مكان غال يرى منه الأعداء

فإذا رأيت سفينة بخارية لها سياج متين من الفولاذ وبها غرف للنوم، ومطعم، وملهى، ومدخنة، ثم أنشأت لهذه السفينة صورة جديدة أخرى كأن يوضع فوق السياج عدة مدافع ضخمة وأن تملأ بعض حجرها بالذخائر، وأن يقف بعض الجند فوق مكان عال فيها ليرقب العدو — ويكون هذا المكان بمثابة المرقب ويؤدى عمله — وتُحَوَّل حجرة اللهو إلى معمل لإصلاح الأسلحة ويكون الركاب كلهم جندا، وبذا تصبح السفينة قلعة فهذه الصورة الجديدة هى عمل من أعمال القوة التى تسمى: خيالا مخترعا.

وإذا فحصت عن أجزائها وجدتها مركبة من إدراكات حسية سابقة، هى: المدفع والجنود والمرقب والجدارن المتينة و.... ولكنك ضممت بعضها إلى بعض بصورة جديدة فأخرجت قلعة مائية لم تعرفها قبل ذلك.

ومما يشبه هذا المثال:

أن تنشئ صورة جسمها جسم أسد ورأسها رأس إنسان (كأبى الهول). أو جسمها جسم سمكة ورأسها رأس امرأة (كبنت البحر) فكل واحدة من هاتين الصورتين كُوِّنَتْ على غير مثال سابق، واستعانت النفس على تكوينها بما عندها من المعانى الذهنية (الإدراكات الحسية السابقة) فكل واحدة من الصورتين الجديدتين مكونة من إدراكين حسيين سابقين. «فصورة أبى الهول» مكونة من الإدراك الحسى السابق لجسم السبع مضافا إليه الإدراك الحسى السابق

أيضا لرأس الإنسان ، وصورة بنت البحر مكونة من الإدراك الحسى السابق لجسم السمكة مضافا إليه الإدراك الحسى السابق أيضا لرأس المرأة .

وعلى هذا نستطيع أن نقول فى تعريف الخيال المخترع إنه :

« استرجاع الإدراكات الحسية السابقة والاستعانة بها فى إنشاء صور جديدة لم يكن لها وجود قبل ذلك » .

أو :

« قوة تساعدنا على تذكر الصور الذهنية الماضية والانتفاع بها فى تكوين صور أخرى لم تكن معروفة » .

نوعا الخيال المخترع (الابتكارى)

(١) الخيال المطلق :

ويتضح أمره مما يأتى :

هبك جلست على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وشاهدت سعة البحر وحركة البواخر المختلفة فيه — سواء أكانت حربية أم تجارية أم لنقل الركاب ، أم لكل ذلك — فتحركت فى نفسك جملة خواطر واشتغلت بها ، كأن تتمنى أن يكون لمصر عمارة بحرية ، وأن يكون لها جيش قوى يستقل بأموره ، ويستطيع أن يملك مضايق ذلك البحر ، فتقل المتاجر الأجنبية ، وتنتشر التجارة الوطنية ، ويعم الرخاء مصر ، وتصبح دولة رهيبة الشأن ، مصونة الجانب و . . . .

ثم تشتبك هذه الخواطر بغيرها وتتصل بأخرى كالبحث فى أنجع الوسائل لنشر الصناعة، وترقية الزراعة والزراع، ونشر التعليم، وأشباهها

من الأمور التى لا تفكر فيها قصدا لتصل إلى غاية معينة ، فأنت إذا بحثت هذه الخواطر وحللتها وجدتها :

(ا) نوعاً من : « التخيل المخترع » تشتغل به النفس من غير إرادة سابقة ومن غير أن تقصد به الوصول إلى نتيجة خاصة تريدها .

(ب) وأنها جوالة سريعة التغير ، فهى تنتقل من موضوع إلى موضوع ومن حالة إلى أخرى وأنت لا تحاول إيقافها أو قصرها على موضوع واحد ، ففى المثال السابق (مثال البحر) بدأت الخواطر تفد إليك من غير أن تبذل محاولة من جانبك لإرجاعها إلى دائرة شعورك ، وأخذت نفسك تنشئ الصور المختلفة من تلك الخواطر . واستمر إنشاء الصور يتلو بعضه بعضا تبعا لورود الخواطر وأنت لا تحاول صد تيار الخواطر ولا أن تقصره على البواخر فقط أو تقوية الجيش فقط أو تحسين الزراعة أو موضوع آخر بعينه . فهذا يسمى : « الخيال الاختراعى المطلق » وهو :

« ما كانت الخواطر فيه حرة خالية من إرادة المرء وتقييده ورغبته الوصول إلى نتيجة معينة »

ويشمل أمورا أهمها :

الأمل — الوهم — التشاؤم وتوقع الخطر

(٢) الخيال الاختراعى المقيد

وهو :

« ما كانت الخواطر فيه متحركة بإرادة المرء ومتجهة إلى غاية معينة يقصد الوصول إليها » .

كأن تريد بناء بيت فتشغل نفسك بالخواطر المتعلقـة بشكله الهندسى ، ومقدار ارتفاعه ، وعدد حجراته ، وموضع نوافذه و... لتصل بذلك إلى غاية خاصة هى الصورة التى يكون عليها البيت .

فهذه الخواطر المتعلقة بأمر البيت :

(١) قد اشتغلت بها نفسك بإرادة سابقة .

(٢) وقد كانت تلك الخواطر مقصورة على أمر البيت لم تتجاوزه إلى غيره من الأمور الأخرى كبناء السفن وإعـداد الجيوش والاصطياف فى الإسكندرية و . . . . . . كما حدث فى النوع الأول .

(٣) وكان الغرض من الاشتغال بهذه الخواطر وبحثها الوصول إلى قصد معين هو :

« اختيار شكل البيت وما يكون عليه »

فهـذه ثلاثة أمور لا بد منها فى الخيال الاختراعى المقيد ولا يتحقق واحد منها فى المطلق . ولذلك تسمى : « أوجه الفرق بينهما »

الخيـال المترجم

ومن أهم أنواع الخيال الاختراعى نوع يسمى : « الخيال المترجم» ومن أمثلته أن تشرح لصديق لك آثار الأقصر ، أو تصف له « نيويورك » أو الهنـد أو غيرها مما لم يعرفه . فإن خياله فى هـذه الحالة يسعفه :

(١) بصور ذهنية تشبه هذه

(٢) ويُكَوِّنُ منهـا صورا يستعين بها على فهم ما يلقى من المعلومات الجديدة .

وهذا النوع من الخيال : يسمى «الخيال المخترع المترجم» وهو : «الذى يعيد الصور القديمة إلى دائرة الشعور ، ثم يُكَوِّن منها صورا جديدة تساعد على فهم الحقائق المعروضة .

٭٭٭

ما يضر من الخيـال المخترع وما ينفع ووظيفته فى الاختراع

عرفنا أن للخيال المخترع نوعين : أحدهما المطلق ، والثانى المقيد فأما المطلق — على الرغم مما فيـه من تسلية قليلة — فله سيئات ، أهمها أنه :

(١) يقوى الوهم فى الإنسان ويجعله عبدا لمخاوفه ، فيعطل فيه قوة التفكير والنظر الصادق إلى عواقب الأمور ، ويؤدى به إلى تعود الترك والإهمال . وفى ذلك كله أعظم الخطر .

(٢) يقوى التشاؤم فيرى المرء الحياة سيئات ومتاعب ، ويعمى عما فيهـا من متعة وسعادة ، ويقضى العمر فى ألم واضطراب ، وقلما ينجو من الأمراض التى تنشأ من ذلك .

وأما المقيد فمزاياه كثيرة ، منها :

(١) الاختـراعات الآليـة (الميكانيكية) التي قربت مسافات العالم ، ووصلت أجزاءه .

فالطيارات والغواصـات والسيارات وتقدم العـلوم والفنون كلها من أثر هذا النوع من الخيال

(٢) تقدم النظم الحربية وفن العمارة والقوانين العمرانية، فكل هذا إنما حصل بفضله .

(٣) أن الخيال المترجم — وقد سبق الكلام عليه — نوع منه، وللخيال المترجم قيمته العظيمة فى تنمية العقل وكسب العلوم ، وحسبك من ذلك أن تعرف أن العلوم التى ندرسها إنما نعتمد فى فهم الكثير منها على ذلك الخيال، إذ ليس فى استطاعتنا أن نصل إلى إدراكها كلها من طريق الحواس ، فهل يستطيع كل متعلم أن يغوص تحت لجج الماء ليدرك أسرار الحياة فى قرار البحار ؟ أو يرقى إلى «قمم الهملايا» ليشاهد تراكم الثلوج ؟ أو يجوب كل مملكة ليعرف محصولاتها ومناخها أو أخلاق أهلها ؟ وأن يدرك من طريق حواسه كل المعلومات التى عرفها من الجغرافيا أو التاريخ أو الكيمياء أو مبادئ العلوم أو .... ؟

مما تقدم يبين لنا أهمية الخيال المقيد وما له من أثر عظيم يدعونا إلى تربيته والعناية بأمره من أيام الطفولة .

وأهم الطرق لذلك :

(١) قراءة القصص والروايات [1] ومشاهدة تمثيلها .

(٢) الأعمال اليدوية ، وعمل النماذج المجسمة من الورق المقوى والطين والورق الملون .

---

(١) يحسن — فى الروايات التى يشاهدها صغار الأطفال — أن تكون خالية من الأمور المحزنة

(٣) رسم الصور المختلفة وتمثيل الأشكال الطبيعية بألوانها .

(٤) تزويد الأطفال بطائفة صالحة من اللعب الخاصة بهم كلعب « فروبل » (١)

(٥) الرحلات والإكثار من مشاهدة الكون مباشرة

(٦) دراسة المواد التى تساعد على تفهم الكون كعلم مبادئ العلوم .

* * *

الملخص

(١) الخيال نوعان :

حضورى : وهو إرجاع الصور الذهنية إلى دائرة الشعور من غير تبديل فيها .

واختراعى : وهو إرجاعها وتكوين صور جديدة منها .

(٢) الخيال المخترع نوعان

مطلق ، وهو : مالا يسبقه إرادة ، ولا ينحصر فى أمر واحد ولا يتجه إلى غاية مقصودة .

ومقيد : وهو عكسه ويشمل المترجم .

---

(١) أستاذ ألمانى كبير وَجّه عظيم عنايته إلى تنظيم اللعب للأطفال ، واستخدامها فى تربية مواهبهم ، وتعويدهم الأعمال البدنية . وتوفى سنة ١٨٥٢ م

(٣) الخيال الاختراعى المطلق يقوى الوهم والخوف والتشاؤم على الرغم مما فيه من تسلية .

(٤) الخيال الاختراعى المقيد : أصل الحضارة والمدنية بمظاهرها المختلفة .

(٥) طرق تنمية الخيال :

(ا) القصص والتمثيل «ب» الأعمال اليدوية

(حـ) الرسم بأنواعه «د» اللعب

(هـ) الرحلات «و» بعض المواد الخاصة كمبادئ العلوم.

٭٭٭

الباب العاشر

(الذاكرة)

(لا مناص قبل الكلام على هذا الموضوع من إشارة موجزة إلى « الحافظة » إذ هى الطريق الذى يوصل إلى فهم الذاكرة) .

إن كل مؤثر خارجى يقع على الحواس ينتقل أثره مع الأعصاب ~~المصدرة~~ الموردة إلى بعض خلايا المخ ، وهذا الأثر يعرف فى أول أمره بالأحساس ، ثم بعد فهمه وتمييزه عن غيره من أنواع الإحساس (بأنه إحساس بصرى أو سمعى أو لمسى و . . .) يعرف : « بالإدراك الحسى . أو العمل العقلى الأَوَّلىّ » ، فإذا زال المؤثر المادى وانصرف الشعور عن أثره سمى ذلك الأثر : « معنى ذهنيا » ويحفظ فى النفس بقوة تسمى « الحافظة » (١) .

وهذا الأثر المحفوظ فى النفس صالح لأن يرجع إلى دائرة الشعور مرة ثانية بقوة طبيعية تسمى : « الذاكرة » ويسمى رجوعه وإعادته : « تذكرا » ، فالذاكرة هى :

---

(١) فالحافظة هى : القوة التى تقوم بخزن الأدراكات الحسية التى لا يتعلق بها الشعور

(٢) الصور الذهنية هى: المدركات الحسية التى انصرف عنها الشعور كما عرفنا

« قوة وظيفتها جذب الصور الذهنية من مخزنهـا وإرجاعها إلى دائرة الشعور إذا وجدت مناسبة [١]

عناصر الذاكرة

تبنى الذاكرة على عناصر ثلاثة، ويستحيل أن توجد الذاكرة إن لم توجد هذه العناصر مجتمعة، وهى :

(١) الحفظ (٢) الاستحضار بشرط أن يكون واضحا

(٣) النسبة الزمانية

وبيان ذلك :

أنه لا يمكن أن نتذكر شيئا إلا إذا كان ذلك الشئ محفوظا فى النفس قبل تذكره (أى سبق أن تعلق الشعور به ثم انصرف عنه فأصبح صورة ذهنيـة ثم حفظ فى القوة الحافظة) وهذا هو الأساس الأول للذاكرة

ثم يتبعه الاستحضار ، والمراد به : إرجاع المعلومات القديمة من القوة الحافظة إلى دائرة الشعور . ولا بد أن يكون ذلك واضحا بأن تكون الصورة الذهنية عند رجوعها إلى دائرة الشعور لا غموض فيها ولا خفاء ولا اختلاط بغيرها . فإذا تذكرت الهرم وجب أن تـكون صورته جلية لا تختلط بصورة غيره كالجبل أو القصر أو البرج . وإذا تذكرت صـديقا معينا وجب أن تـكون صورته المستحضرة غـير مبهمة ولا مختلطة بصورة غيره من الناس ، ولا يعتورك شك فى أن هذه الصورة المستحضرة تمثل الإدراك الحسى الأول تمام التمثيل .

---

(١) لابد من وجود مناسبة بين المعانى القديمة والمعانى التى يشتغل بها الشعور .

أما الأساس الثالث فهو النسبة الزمانية ، ويراد بها :
« أن تحكم على الأمر الذى استحضرته بأنه حصل فى زمن ما ».

مميزات الذاكرة الجيدة

تعرف الذاكرة الجيدة بأمور أهمها ثلاثة :

(١) السرعة فى تذكر المعلومات القديمة

فإن كثيرا من الناس قد يتقاربون فى مقدار المدركات الحسية وحفظها ولكنهم يختلفون فى درجة التذكر السريع ، فأجودهم ذاكرة أسرعهم إرجاعا .

(٢) القدرة على تذكر المطلوب وحده .

فطالما رأينا من يحفظون الأشياء الكثيرة ولكن إذا طالبتهم بتذكر شىء معين منها سردوه لك مع غيره ، وعجزوا عن تذكره منفردا كما يفعل بعض التلاميذ الذين ينمون الحافظة ويعتمدون عليها دون أن يعولوا على فهم الحقائق فهما يساعدهم على استرجاع ما يريدون وترك مالا يريدون ، فمثل هؤلاء كمثل صاحب حانوت ملأه بمختلف الأشياء والحاجات من غير أن يحاول تنسيقها وتصنيفها ووضع الأشياء المتشابهة بعضها إلى بعض ، فإذا أراد نوعا معينا لم يستطع الوصول إليه إلا بعد العبث بكثير مما فى الدكان . وفى هذا من الجهد وضياع الوقت ما لا يخفى .

(٣) طول عمر الذاكرة مع قوتها

ومعنى ذلك أن تعيش تلك القوة ، سنوات طويلة تؤدى عملها من غير ضعف ولا عجز . والناس متفاوتون فى هذا أيضا ، فإنك ترى كثيرا منهم يسرع التذكر ويقدر على استرجاع ما يريد تذكره ولكن

ذاكرته لا تستمر كذلك سنوات طويلة ، وهذا عيب من عيوبها . وترى آخرين يمتازون بنشاط هذه القوة حتى فى زمن الشيخوخة ، وربما لازمتهم إلى ساعة الاحتضار .

هذا ولا ننسى أن للوراثة والعوامل الصحية والمهنة التى يزاولها المرء وسائر ما يحيط به من أحوال أخرى أثراً كبيرا فى جودة الذاكرة أو نقص تلك الجودة .

طرق الحفظ

إننا حين نريد حفظ قطعة من المنظوم أو المنثور نلجأ إلى إحدى الطريقتين الآتيتين :

الأولى : تقسيم القطعة جملة أقسام نحفظ كل قسم منها على حدة.

الثانيـة : حفْظ القطعة كلها مرة واحدة .

ولكل طريقة عيوب وحسنات ، فحسنات الأولى :

«ا» مساعدتها على الحفظ بسرعة ، فيقتصد الإنسان وقتا وجهدا

«ب» لزومها فى بعض القطع الطويلة التى لا يتيسر حفظها مرة واحدة — وخاصة لصغار الأطفال —

أما سيئاتها فأشهرها :

«ا» اختلاف درجة الحفظ فى أقسام القطعة ، لأن الأقسام الأولى يصيبها من العناية أكثر مما يليها

«ب» ضعف الربط بين كل قسم وآخر فيضطر المرء إلى الوقوف بعد كل قسم زمنا يختلف مقداره - باختلاف ضعف الربط - حتى

يتذكر أول القسم الذى يليه — وقد عرفنا أن أساس التذكر هو الربط وقوته بين الإدراكات الحسية —

وأما حسنات الثانية فهى :

« ا » التساوى فى درجة الحفظ

«ب» التساوى فى درجة الربط بين الأقسام.

(أى : أن حسناتها تنحصر فى خلوها من عيوب الأولى)

وأما سيئاتها فهى :

« ا » صعوبة الأخذ بها فى كثير من الأحيان ـ وخاصة على الناشئة ـ ولذلك تحتاج فى الغالب إلى وقت طويل وجهد عظيم

«ب» استحالة حفظ القطع الطويلة بها.

(أى : أن سيئاتها محصورة فى خلوها من حسنات الأولى)

والرأى : أن يختار المرء من الطريقتين مايتناسب مع حاله ويتلاءم مع مايريد حفظه من جهة السهولة والصعوبة والطول والقصر وغير ذلك

شروط الحفظ ، أو : عوامله

(١) الإحساس وقوته : فإذا لم يوجد فإن الإدراك الحسى لايوجد كذلك ، فلا توجد المعانى الذهنية ولا يوجد التذكر أيضا . ومن هنا نستطيع أن ندرك السبب فى أن قوة الإحساس تساعد القوتين : « الحافظة والذاكرة » على أداء عملهما ، لأن الأثر المادى يكون فى خلايا المخ حينئذ قويا .

(٢) التكرار وعدم الترك الطويل

وذلك لأن الإحساس بعد أن يصير إدراكا حسيا ثم صورة ذهنية يكون عرضة للضعف مهما كان قويا فى الأصل — إن لم يتعهده صاحبه بالتكرار — فإذا رأيت أحد الملوك مرة واحدة فإن صورته تكون عرضة للخفاء الذهنى إن لم تتكرر المشاهدة ، فإذا تكررت كان أثرها المادى فى المخ قويا ، فلا تخفى بسرعة .

والتكرار وحده لايكفى لبقاء الأثر واضحا زمنا طويلا فقد يكون بين مرات التكرار فترات طويلة تساعد على خفاء المعانى الذهنية ونسيانها ، ولذلك كان من الواجب أن تكون الفترة قصيرة بين مرات التكرار . والأمثلة لأثبات هذا كثيرة ، فإنك تجيد حفظ القصيدة الطويلة حتى تعتقد أنها لن تنسى وتتركها زمناً ثم تعود لتذكرها فلا تستطيع . وكثير من حالات النسيان ينشأ من هذا .

(٣) ربط المعانى بعضها ببعض

وهذا العامل (وهو المعروف بالترابط أو تداعى المعانى وقد سبق الكلام عليه) هو أهم عناصر الذاكرة ، لأن المعانى المترابطة يقوى بعضها أثر بعض فى المخ، وإذا رجع بعضها إلى دائرة الشعور أرْجعَ معه غيره ، فأنت إذا عرفت بيت صديقك والطريق الموصلة إليه ورقمه واسم الشارع وجهته منه صعب عليك أن تنساه .

لذلك كان من الواجب علينا أن نربط كل حقيقة جديدة بغيرها كربط الدروس التاريخية بالمصورات الجغرافية، والتاريخ الطبيعى بالرسم، وعلم الأخلاق ببعض أعمال الأفراد

والعامل الأول خير عوامل الحفظ ، ويليه الثانى ، أما الثالث فأقلها قيمة وأكثرها تعبا .

وخير من هذا كله أن يشرك المرء العوامل كلها فى كل قطعة يريد حفظها ، ولا يقتصر على عامل دون سواه . وحبذا مراعاته لشىء آخر هو أن يكون حفظه لما يريد موزعا على جملة جلسات ، فلا ينقطع جلسة واحدة لحفظ كل مايريد حفظه ، فقد ثبت أن لذلك التوزيع كثيرا من الحسنات .

***

الملخص

الذاكرة هى :

(١) قوة ترجع المعانى الذهنية إلى دائرة الشعور لوجود مناسبة بينها وبين مايشتغل به الشعور

(٢) عناصرها : الحفظ ، الاستحضار ووضوحه ، النسبة الزمانية

(٣) مميزات الذاكرة الجيدة : السرعة ، وتذكر المطلوب وحده ، وطول عمرها مع قوتها .

(٤) للحفظ طريقتان : حفظ القطعة كلها مرة واحدة أو تقسيمها ، ولكل حسنات وسيئات ، والأحسن أن يختار المرء ما يناسبه من الطريقتين

(٥) عوامل الحفظ : الإحساس وقوته ، الترابط ، تكرار الألفاظ والأحسن الجمع بين العوامل كلها وتوزيع الحفظ على جلسات عدة .

***

الباب الحادى عشر

بعض الفوارق المميزة للأفراد

من حيث التفكير والوجدان والنزوع

توجـــد عوامل مختلفة تؤثر فى المرء تأثيرا يتناول جميع قواه (جسمية وعقلية وخلقية) ولا ينجو من تأثيرها أحد ، غـير أن تأثيرها يختلف فى شدته وضعفه وطول بقائه أو قصره باختلاف الأفراد وما يحيط بكل من أحوال خاصة.

وسنتكلم الآن على تلك العوامل لنعرف أثرها فى العقل النظرى والعلمى، وفى الوجدان والنزوع (الإرادة)

العوامل المؤثرة فى الإنسان

إن تلك العوامل قسمان :

« ا » عوامل طبيعية، ويراد بها:

« الصفات التى توجد مع الفرد بأصل الخلقة »

وتشمل :

(١) الغرائز (٢) الوراثة (٣) الأمزجة

«ب» عوامل مكتسبة، ويراد بها :

(١) البيئة بمعناها العام ، الذى يشمل

« كل مايحيط بالطفل فى حياته ويكون له أثر فى تكوينه ».

كالمنزل والمدرسة والرفقة والمناخ والمعبد والقوانين ونوع الحكومة

وفيما يأتى شرح موجز لكل عامل

(١) الغرائز:

قد سبق الكلام عليها بما فيه الكفاية

(٢) الوراثة:

يقصد بهذه الكلمة هنا:

«انتقال كثير من صفات الأبوين أو الأجداد إلى أولادهم»

ولا خلاف بين علماء الحياة الآن فى أن الصفات المادية (الجسمية) للأبوين أو الأجداد — كطول الجسم ووزنه ولونه وشكله — هى مما يورث ، ولكن الخلاف فى الصفات العقلية — وتشمل الخلقية — فقد ذهب علماء التربية فيها مذهبين ، لكل منهما أنصار يؤيدون رأيهم بالبراهين:

(ا) فمذهب يرى أصحابه أن الصفات العقلية (ومنها الخلقية) مما يورث ، وأنها تنتقل إلى الأبناء ، وتصير فى آثارها كالغرائز ، وأن الأخلاق التى يكتسبها الآباء تتبع قانون وراثة الصفات الجسمية فى كل الكائنات الحية ، فهى تنتقل منهم إلى خلفهم ، ولهذا فإننا نرث خلق الحياء والذمة والصدق ، كما نرث شكل الجسم وقوته ولونه (١)

---

(١) راجع كتاب مورزلى ص ٣٦٧

ويقولون : إن ما يرثه المرء من سلفه هو خير زاد له فى حياته ، ويوم بعثه من كل ما يتعلمه من أساتذته وعلماء دينه .

وليس من اللازم عند أصحاب هذا الرأى أن تظهر الصفات الوراثية فى الأطفال عقب ولادتهم مباشرة فقد تنتظر الصفات أشهرا أو أعواما ثم تظهر بعد ذلك فى الوقت الملائم لظهورها ؛ وقد تستمر كامنة لا تظهر إلا فى أولادهم من بعدهم ، فقد شوهد أن كثيرا من صفات الأبوين لا يظهر فى الأبناء ولكن يظهر فى الأحفاد (١) والأسباط (٢) وهذا يفسر لنا قول علماء الوراثة :

« إن المرء قد يرث عن أجداده مالا يرث من والديه مباشرة »

(ب) ومذهب آخر يرى أنصاره أن الأفراد متساوون فى الاستعداد ، وأن الفرق العظيم الذى يشاهد بين الناس منشؤه التأثر بالبيئة العامة ، فالأبله والمخترع والنابغة والشريف والخدّاع والكذوب كل أولئك ولدوا متساوين فى استعدادهم ثم أثرت فى كل منهم عوامل كسبية (غير طبيعية) جعلته يسلك المسلك الجديد .

ولسنا بصدد البحث فى هذين الرأيين وترجيح أحدهما على الآخر ، فسواء أ كان أصحاب الرأى الأول على حق أم أصحاب الرأى الثانى فإن هذا لا يعنينا الآن ولكن الذى يعنينا هو اتفاق الفريقين على أن :

---

(١) الأحفاد : الذرية من ابن الرجل

(٢) الأسباط : الذرية من بنت الرجل

« التربية النافعة تنهض بالوليد إلى أكمل الغايات »

فهى عنـد الفريق الأول تضعف الجانب السيئ من الصفات الموروثة وتقوى الجانب النافع ، كما تفعل ذلك فى الغرائز ، فللغرائز — كما عرفنا — جانب محمود وأخر سيئ ، والتربية الصحيحة هى التى تنهض بالأول وتقويه وتعمل على إخماد الثانى وإضعافه ، وكذلك أثرها فى الصفات الموروثة جسمية كانت أو غير جسمية .

وهى عند الفريق الثانى الطريق الوحيـــد لتنظيم البيئة العامة تنظيما يكفل الانتفاع بعواملها واستفادة التجارب والمعلومات منها .

(٣) الأمزجة (١)

يقال إن أول من ميز الأمزجة فى الإنسان هو « جالينوس » (الطبيب اليونانى فى القرن الثانى الميلادى) ، وتبعه فلاسفة العرب فى القرون الوسطى وعلماء التربيـة اليوم . وهؤلاء العلمـاء يرون للأمزجة أثرا كبيرا فى الجسم وفى تـكوين القوى العقلية والخلقية . ولهذا يرون دراستها ومعرفة آثارها أمرا لازما كى يمـكن استخدامها فيما يفيد والانتفاع بالجانب الصالح منها .

والأمزجة أربعة أنواع ، لـكل منها صفات جسمية وغير جسمية ، تتبين من الجدول الآتى :

---

(١) المزاج : مجموعة صفات نفسية طبيعية لا تعرف إلا بصفات أخرى ظاهرة وآثار محسوسة

المزاج	الصفات الجسميــــة التي لصاحبه	الصفات غير الجسمية (أى العقلية و الخلقية)
(١) الصفراوى	اصفرار اللون أو سمرته قليلا ، حدة النظر	الذكاء ، الثبات على الرأى ، الطمع . حب المدح و الانتقام
(٢) الدموى ، (وهو مزاج معظم سكان المنطقة الحارة)	كبر الجسم ، عرض المنكبين صغر الرأس ، استدارة الوجه بياض اللون	البشاشة، التفاؤل، سرعة الفهم و النسيان ، تقلب الرأى ، الصراحة و الميل إلى معاشرة الناس
(٣) السوداوى ، (وهو مزاج معظم سكان البلاد البادرة)	كبر الرأس ، صغر الجسم ، كثرة العروق الظاهرة من سطح الجلد ، عدم تجعد الشعر	سعة الخيال ، حـــدة الذكاء الأمانة ، الوفاء ، نصرة الحق ، التشاؤم ، بطء ، الانفعال
(٤) المزاج الليمفاوى أو البلغمى	البياض الشاحب ، السمنة ترهل البـــدن ، البطء فى الحركة	الاعتماد على النفس ، الصبر المنافسة الطيبة ، التؤدة فى العمل و التروى فى نتائجه

تغير الأمزجة

يرى كثير من العلماء أن الأمزجة غير ثابتة فى الإنسان ، فهى تتغير فيه تبعا لتغير الأغذية أو بعض العوامل الأخرى فى البيئة التى يعيش فيها ، فقد لوحظ أن النباتيين تتغير أمزجتهم بعد اقتصارهم

على أكل النبات وترك اللحوم ، وعملت عدة تجارب فى السجون لإصلاح المجرمين فأدت إلى نتائج مرضية بسبب ذلك التغيير فى الأغذية .

وتغير الأمزجة تبعا لتغير يحصل فى البيئة أمر مشاهد ، يدلك عليه ما يظهر من التغيير الجسمى وغير الجسمى فى الجاهل والمتعلم ، وفى الذى يتنقل من سكنى الصحراء إلى سكنى المدينة ، ومن الجهات الحارة إلى المعتدلة أو الباردة ، وكذلك العكس ، بل إن المرء نفسه قد يمر بكل أنواع الأمزجة ، فتراه دمويا ثم سوداويا ثم صفراويا ثم لمفاويا أو نحو ذلك ، متنقلا من مزاج إلى مزاج تبعا للغذاء ولعوامل البيئة التى تؤثر فيه .

«ب» العوامل المكتسبة

البيئة:

قلنا إن المراد بالعوامل المكتسبة هو : «البيئة» بمعناها العام الذى يشمل المنزل والمدرسة والرفقة المناخ والمعبد و ....

وليس من شك أن لكل واحد من هذه العوامل أثرا فى قوى الإنسان ، وذلك الأثر قد يكون طيبا وقد يكون خبيثا على حسب كل حالة ، وقد انتهى العلماء من بحث هذا ، وثبت لهم أن المنزل الصالح يُنْشئ الطفل أطيب نشأة ، فليس الذى يعيش بين الجهلة كمن يخالط العلماء الذين يحرصون على تقويمه . وأثر المدرسة واضح فهى التى تقوم بالقسط الوافر من تهذيب الأفراد وتعهد ملكاتهم .

وللرفقة أثر نحسه ونشاهده كل يوم ، فالأصدقاء الكملة مصابيح هدى للصديق ، يرشدونه إذا ضل ، ويضيئون له سبل الحقائق وينسج على منوالهم بدافع من غريزة المحاكاة ، فيصل إلى ما يرتجى من حميد الغايات . أما الأصدقاء الذين حرموا الكمال فما أعظم ضررهم وما يجلبون من الشرور والآثام .

وللمناخ حره وبرده ، جفافه ورطوبته دخل عظيم فى القوى الإنسانية ، يدلك على هذا ما تراه من التفاوت الواضح فى الصفات الإنسانية بين سكان البقاع المختلفة ، ذلك التفاوت الذى تصدى للكلام عليه علماء الجغرافيا .

***

العقل النظرى والعقل العملى ، والوجدان السريع التهيج والوجدان الخامل

مما تقدم جميعه نعرف العوامل المؤثرة فى الأفراد ، كما نعرف أن الناس متفاوتون فى صفاتهم (الجسمية وغير الجسمية) تبعا لتلك العوامل ودرجة تأثيرها فى كل فرد . فلو كان من المستطاع جعل العوامل واحدة فى كل زمان ومكان ودرجة تأثيرها فى جميع الأفراد متساوية لكان الناس سواسية (١) فى التفكير والوجدان والنزوع « الإرادة » وسائر الأحوال ، ولكن هذا هو المحال ، ومن أجل ذلك اختلفت المظاهر النفسية واختلف العقل أيضا اختلافا جعل الناس فريقين :

أحدهما يميل بطبيعته إلى الاشتغال بالبحوث الفلسفية ودراسة

(١) متساوين

النظريات والقواعد العلمية وأشباهها من المسائل التى يتغلب فيها الفكر ، كالمشتغلين بقوانين الرياضة الخالصة وكالفلاسفة ورجال الدين ورجال الاجتماع . فهؤلاء يوجهون جل عنايتهم إلى وضع القواعد العامة . أمامك أفلاطون (١) الذى وضع كتاب « الجمهورية » فقد ملأه بالنظريات التى يجب أن يساس العالم بمقتضاها وهو لم يحاول تجربتها كلها ليرى بنفسه الفشل الذى أصابها .

ومثله « كانت » (٢) الذى وضع قواعد فلسفية عامة كان لها من التأثير فى العالم العقلى ما للثورة الفرنسية من التأثير فى العالم الاجتماعى .

على حين أنك ترى فريقا آخر لا يميل إلى النظريات والقواعد وإنما يندفع إلى العمل الحسى ويرى فيه لذة وسرورا . والمخترعون جميعا من هذا النوع .

ويسمى الفريق الأول : أصحاب العقل النظرى ، كما يسمى الفريق الثانى : أصحاب العقل العملى

أما سبب هذا الاختلاف بين الفريقين فيسور معرفته الآن بعد أن عرفنا العوامل التى تؤثر فى الانسان ، وليس معنى ذلك أن صاحب العقل النظرى مقصور على هذه الوجهة النظرية أو أن صاحب العقل العملى مقصور على العمل ، بل المراد أن الأول

---

(١) فليسوف يونانى مات سنة ٣٤٧ ق.م

(٢) فليسوف ألمانى مات سنة ١٨٠٤ م

تتغلب عليه الجهة النظرية وأن الثانى تتغلب عليه الجهة العملية ، ولا مناص لكل منهما أن يأخذ بنصيب من كلتا الجهتين (١) .

ولعلك لا تعجب بعد هذا إن رأيت غنيا متحجر القلب لا يرثى لمصاب ولا يعطف على منكوب ، فى حين ترى آخر قد وهب الله له من الحنان والعطف ما وهب . فلتلك العوامل يرجع السبب ، فهى التى تجعل فريقا من الناس ذا وجدان متيقظ نشيط وتجعل الآخر خامدا ، فلست تنتظر من صاحب المزاج الدموى أن يكون نائم الوجدان بطىء الانفعال كصاحب المزاج السوداوى ، ولست تسوى بين وجدانين : أما أحدهما – وخاصة إذا كان صاحبه دمويا – فقد تعهدته التربية وتناولته يد الاصلاح فترعرع واشتد وتَحَفَّزَ لأداء العمل لا يمنعه إلا مجىء الفرصة المناسبة ، وأما ثانيهما فأهمل وترك لنفسه حتى صوّحَ وذوى كالغصن لم يجد من يتعهده . فصاحب الأول يحزن لمصاب غيره ويعطف على البائس ، ويساعد المنكوب ، ويسرع فى الخير ويطرب للنغمات الموسيقية ، ويهتز للندى. وصاحب الثانى لا يلين لمستعطف ، ولا يتحرك لمنظر مؤلم ، ولا يحس قوة تدفعه إلى معاونة ضعيف أو مجاملة صديق أو مساعدة محتاج ، وبين هذا وذاك درجات كثيرة يشغلها طوائف من الناس تتفاوت فى قوة الوجدان على قدر تفاوتهم فى تلك العوامل .

٭٭٭

---

(١) راجع ص ٢٠٧ سيكولوجية التربية لولتون

الإرادة المترددة والإرادة المندفعة

إلى تلك العوامل أيضا يرجع التأثير فى الإرادة فينشأ ما يسمى « الإرادة المترددة » و « الإرادة المندفعة » فصاحب الأولى هو الذى:

« لا يستطيع البت فى الإقدام على أمر أو عدم الإقدام عليه ».

إذ تمتلىء نفسه بالهواجس الكثيرة فيزداد حيرة وترددا ويضيع وقت طويل من غير أن ينتهى إلى نتيجة حاسمة.

وصاحب الثانية هو الذى:

« يقطع فى الأمور برأى سديد مبنى على نظر ثاقب من غير حيرة ولا تردد »

وأصحاب هذه الإرادة المندفعة فريقان:

(١) فريق يصل إلى الرأى القاطع بعد استيفاء البحث والنظر الصادق ولكن من غير أن يبذل مجهوداً عنيفا أو وقتا طويلا، لأن له من كثرة تجاربه ووفرة معلوماته ما يسرع به إلى الغاية من غير عناء، فالقائد والقاضي والمعلم والجراح يستطيع كل واحد منهم الوصول إلى رأى قاطع فى أمر من الأمور المتعلقة به بسرعة لا يستطيعها من كان مثلهم ولكنه لم يجرب تجربتهم أو لم يزاول العمل مدة طويلة كمدتهم، فهو — وإن وصل إلى الرأى الذى يصلون إليه — لا يكون فى السرعة والإنجاز مثلهم.

وهذا الفريق من الناس يسمى: « أصحاب الإرادة المندفعة الحازمة »

(ب) وفريق يصل إلى ذلك الرأى القاطع الذى وصل إليه الفريق الأول ولكن بعد وقت طويل ومجهود مبذول، بسبب قلة تجاربهم ونقص مرانهم. وهؤلاء يسمون: «أصحاب الإرادة المعتدلة، أو: العادية».

ولسنا نقصد من الفريق الأول أن يخف فى تقدير الأمور ويسرع إلى رأى قاطع فيها من غير بحث صائب ونظر فى العواقب، واستيفاء لا وجه الترجيح فإن هذا يكون نوعا من الطيش وخرق الرأى. ولذا تسمى إرادته: «بالهوجاء» ولكننا نقصد أن يواصل البحث مستعينا بعلومه وتجاربه التى تساعده فى سرعة الوصول إلى ما يريد فيصل إلى إحدى نتيجتين: الإقدام أو الإحجام، ويخرج برأى استقر عليه التمحيص (١)

---

(١) يجدر بنا أن نثبت ماقاله علماء النفس بخصوص هذا البحث مفصلا فقد قالوا: إن كل عمل إرادى لابد أن يسبق بمراحل خاصة، هى على الترتيب الآتى:

(ا) تعلق الشعور بأمر من الأمور كزيارة أوروبافانها إحدى الغايات التى يتعلق بها الشعور أحيانا

(ب) الرغبة فى تحقق هذه الغاية

(ح) الموازنة بين بواعث الفعل و بواعث الترك. (أى أننا نجمع الأدلة التى تدعونا إلى الزيارة والأدلة التى تحملنا على عدمها ونوازن بينهما لنعرف أيهما أقوى.)

(د) التصميم والعزم على تنفيذ مارجح ويسمى هذا: «التصميم الراجح، أو: المعلل»

(ه) إرادة ماوقع عليه التصميم (العزم)

(و) العمل المحسوس الذى تعلقت به الأرادةواتجهت إليه. أى التنفيذ العملى

هذه هى المراحل التى تسبق كل عمل يكون للأرادةدخل فيه ومن تلك المراحل نعلم أن الأرادة تتبع التصميم الراجح وتأتى بعده، ولكن الأرادة أنواع.

إن للوجدان أمورا تساعد على تنميته ، كتعليم الفنون الجميلة (مثل الموسيقى ، والشعر ، والغناء ، والرسم) ورؤية المناظر البديعة ، وتشجيع الأطفال فى أعمالهم الوجدانية ، كمساعدة الضعيف والشفقة على اليتيم ،

---

(١) مندفعة حازمة (٢) معتدلة أو عادية (٣) هوجاء

والنوعان الأولان هما اللذان يأتيان بعد التصميم الراجح (المعلل) أما الإرادة الهوجاء فهى لاتكون بعد التصميم الراجح وإنما تكون بعد نوع آخر من التصميم ، ذلك أن التصميم لا يكون راجحا إلا إذا تغلبت فيه بواعث العمل أو بواعث الترك فلا بد فيه من رجحان إحدى الجهتين فاذا لم يحصل ترجيح وتساوى الطرفان لم يحصل تصميم (عزم) وتظل الإرادة فى هذه الحالة مضطربة حائرة ولذلك تسمى : « الإرادة العاطلة أو المترددة » ويقف صاحبها كذلك حائرا مترددا فلا يأتى العمل بعدها ولكن يحصل أحيانا لصاحبها أن يحسن له عامل خارجى أحد الطرفين فينقاد لذلك العامل ويصمم من غير بحث ولا نظر فى العواقب وتندفع الإرادة إلى ما صمم عليه أيضا ويسمى هذا التصميم « بالتصميم ذى المرجح الخارجى الواهى ، وتكون الإرادة بعده هوجاء غالبا »

وقد يكون العامل الذى يرجح أحد الطرفين المتساويين عامل نفسى محض كميله إلى الخروج من هذه الحيرة مهما كانت النتيجة فيصمم على الخروج أيضا ، وتلى الإرادة هذا التصميم الذى يسمى : « بالتصميم ذى المرجح النفسى الواهى » والإرادة التى تليه هى فى الغالب هوجاء أيضا

إذاً الإرادة الهوجاء لا تكون إلا عقب التصميم ذى المراجح الخارجى أو النفسى الواهى .

والإرادة الحازمة والمعتدلة لا تكون كل واحدة منهما إلا عقب التصميم الراجح (المعلل)

وإليك المراحل السابقة مرة ثانية مع رسم يوضحها ويبين أنواع التصميم والإرادة التى تتبع كل نوع :

(١) تعلق الشعور بغاية من الغايات

ومحاربة الأعمال الوجدانية السيئة، كالحقد وحب الانتقام. وإن للإرادة كذلك أمورا أخرى تساعـــد على اندفاعها فى الطريق المحمود كدراسة القوانين والتاريخ وتشجيع الأطفال إذا بدا منهم عزم مقبول، والفحص لهم عن أسرار الأمور التى لا يستطيعون لها فهما

---

(٢) الرغبة فى تحقق تلك الغاية

(٣) البحث فى بواعث العمل و بواعث الترك والموازنة بينهما

(٤) التصميم

التصميم

«ا» الراجح (أو المعلل) ويوصل إلى :
- الإرادة المندفعة الحازمة
- الإرادة المعتدلة (أو العادية)

«ب» ذو المؤثر الواهى الخارجى ويوصل إلى :
- الإرادة الهوجاء

«حـ» ذو المؤثر الواهى النفسى ويوصل إلى :

(٥) الإرادة المندفعة الحازمة — الإرادة المعتدلة (أو العادية)

(٦) العمل

والمثال الآتى يزيد توضيح ماتقدم :

زيارة أوربا.

(١) هذه غاية (٢) تود تحققها (٣) فتنظر فى بواعث تنفيذها و بواعث تركها وتوازن بينهما فترى أن :

بواعث التنفيذ هى :	و بواعث الترك هى :
«ا» الاصطياف	«ا» الاحتفاظ بالمال
«ب» وجود المال معك	«ب» الخوف من البحر

وهذه الأمور كلها بيد المربى الخبير يوفق إلى أن ينفع بها من يشاء ويحرمها من يشاء. وفى هذا دليل آخر على أهمية تلك العوامل التى سبق بيانها، وما لها من جليل شأن، وعظيم اعتبار

« ح » الرغبة فى مشاهدة أخلاق الناس وحضارتهم

« ح » خشية البرد والأمطار هناك

« ى » الاستشفاء

« هـ » زيارة الأقارب الموجودين هناك

***

فتتغلب بواعث التنفيذ على بواعث الترك

(٤) فتصمم على الزيارة وهذا التصميم راجح أو معلل (لأنه بعد بحث وموازنة)

(٥) فتريد ماصممت عليه. وهذه الإرادة قد تكون مندفعة حازمة إذا كنت قد تعودت النظر فى مثل هذه الأمور وخوض البحوث كثيرا، وقد تكون إرادة عادية إذا كنت حديث عهد ببحث أمثال هذه الأمور

(٦) تعمل ما أردت وتقوم بالتنفيذ الفعلى.

أما إذا كنت فى المرحلة الثالثة — مرحلة بحث البواعث وموازنتها — لم تجد ترجيحا بل وجدت بواعث العمل تتساوى مع بواعث الترك فأنت فى هذه الحالة لا تصمم بل تقف حائرا، فإذا جاءك صديق مثلا وقال لك: إن الأولى أن تقوم بهذه الزيارة فانتهزت هذا الرأى من غير أن تقف على صوابه أو خطئه وصممت على الزيارة فإن هذا التصميم هو ما سميناه: « التصميم ذا المؤثر الخارجى الواهى » والإرادة التى تتبعه هى: « الارادة الهوجاء ». فأما تسميته بالمؤثر فلأنه أثر فيك فجعلك تصمم على مالم تكن صممت عليه قبلا، وأما تسميته بالخارجى فلأن مصدره آخر غيرك، وأما أنه واه (ضعيف) فلأنه لم يبين ولم يذكر الأدلة التى تعتمد

عليها فى التصميم لتكون سببا مرجحا لك . وأما تسمية الا ُرادة التى تتبعه بالهوجاء فلأن صاحبها أهوج طائش إذ يصمم على أمر لم يفحصه فحصا كاملا . وتكون نتيجته الإخفاق غالباً

وقد يكون المؤثر — فى حالة الحيرة — غير خارجى بل نفسى ، فإذا كنت فى تلك المرحلة ـ مرحلة الموازنة ـ مترددا لا تصميم عندك ووقفت الا ُرادة معطلة تبعا لذلك فإنك قد تضيق بهذا التردد وتتألم من حيرتك وتحس بباعث نفسى يدعوك إلى زيارة أوربة لتخرج من هذه الحيرة وتفر من التردد مهما كانت النتيجة ، فتجيب هذا الباعث وتصمم على الا ُمر . فهذا التصميم هو الذى سميناه « التصميم ذا المؤثر النفسى الواهى » وهذا النوع كالذى قبله تتبعه « الإرادة الهوجاء »



الملخص

(١) تنشأ الفوارق بين الأفراد من العوامل الطبيعية أو المكتسبة

(٢) العوامل الطبيعية هى :

الغرائز — الأمزجة — الوراثة .

والعوامل المكتسبة هى :

البيئة بمعناها العام .

(٣) بسبب تلك العوامل تختلف الأفراد فى جميع قواهم ، وإليها يرجع السبب فى العقل النظرى والعقل العملى ، والإرادة المندفعة والمترددة والمعتدلة ، وفى الوجدان السليم أو المريض

***

